من يزرع بذور الشقاق؟

كانت علاقتي بأم زوجي وأخواته وزوجات إخوانه جيدة جدًا، أزورهن ويزرنني، يسألن عني وأسأل عن حالهن نتهادى ونتحاب في جو عائلي مليء بالسعادة والتفاهم لم يكدر علاقتنا شيء إلى أن تزوج «أحمد» من «خلود» فكان هذا سببًا لتغير أحوالنا وسوء مآلنا. فكيف حدث هذا؟!

(أحمد) هو أخو زوجي و(خلود) بالطبع زوجته كانت امرأة من طراز غريب تعاني من الغيرة وتشعر بالنقص وتحاول أن تعوض بهذه التصرفات العابثة!!

حين حلت في أسرتنا بدأت تنشر أفكارها ومبادئها القديمة التي لم تعد تصلح لزماننا هذا، تنفثها كالسم في دمائهم لتسري في أجسادهم فلا يستطيعون منها فكاكًا.. وعلى مدى ست سنوات استطاعت تغيير الصورة والعبث بألوانها..

لم تعد خالتي ولا البنات يتصلن بي، بل بتن يطلبن مني المبادرة بهذا ويعتبن علي ذلك أن (خلود) زرعت في أدمغتهن أن الحق دائمًا لأم الزوج ولأخواته فالمفترض على زوجات الأبناء وأنا إحداهن أن يتصلن دائمًا للسلام عليهن والسؤال عن حالهن ولا يجب أن أعاملهن كما يعاملنني به، بل صار علي أن أسعى لإرضائهن وأن أتجنب إغضابهن فلهن المكانة السامية والقدر الرفيع.

عندما خُطبت (زينب) اشترى لها زوجي أسورة ذهبية بألف ريال ولما قدمتها لها في يوم عقد قرانها ثارت ثائرة (خلود) إذ كيف أجرؤ على تقديم هدية مثل هذه لعمة عيالي ولما أخبرتها أن زوجي هو الذي اشتراها لأغيظها قالت بملء فيها ولو المفروض أن تقدري العمة قدرها وتسدي النقص الحاصل من زوجك فتكملي الهدية بعقد

مثلًا... لن أكمل الموقف.. فمن الطبيعي في هذا الجو المشحون أن تتوتر الأعصاب وتغلظ النفوس.

ليتها تحتفظ بآرائها لنفسها وتكتفي بتطبيقها في حياتها لكفتنا الشيء الكثير، ولكنها ترش رذاذ أفكارها في مجلسنا كل أسبوع بمناسبة وبدون مناسبة أنها تتحدث عن وجوب تسمية المولود الأول باسم والد الزوج أو والدة الزوج إن كانت أنثى وتعد مخالفة ذلك عصيانًا وتمردًا، بل ذنبًا عظيمًا يجب الاستغفار منه أي والله إنها تقول ذلك حتى كادت أن تحدث قطيعة بين أم زوجي وأحد أبنائها لهذا السبب.

ثم أنها تؤكد علينا دائمًا أن نحضر الهدايا التي نود تقديمها للأقارب حتى تراها أم زوجي وأيضًا إن خصني أحدهم بهدية فيجب أن أطلع عليها أم زوجي والبنات لأنه من العيب والعار أن أخفي عنهم أمرًا مثل هذا!!

إن شيئًا كهذا ليس تفضلًا مني، بل هو واجب في حقي تحتمه علي الأصول!! من جراء أفكارها الرهيبة قلت زيارتهن لي حتى انقطعت وانعدمت المكالمات وتلاشت الهدايا وتقطعت الأواصر ثم تقول: إن هذا هو الوضع الطبيعي!!

فالبر يكون من طرف واحد، والإحسان أيضًا من طرف واحد هو زوجة الابن، أما الخالة والعمة فهن على الرأس والعين لا يحق لي أن أشره عليهن ولا أحاسبهن فحتى إن لم يزرنني فيجب أن أزورهن وأن أقدم لهن الهدايا في المناسبات وأن أسأل عنهن وأعود مريضهن!! فهذا هو الواجب والمنطقي في العرف!! كما تقول ولكنه عرفها هي فقط.

وإلا فهل من الواجب والمنطقي كما تقولين أن أقوم بواجبي تجاههن في الدورية الأسبوعية من عمل أصناف عديدة على الغداء ما لذ وطاب ثم حين يأتي دور إحداهن تشتري لنا أرزًا بخاريًا مع الدجاج بدون سلطة أو فاكهة أو أي شيء يسهل المضغ لماذا؟ وهي أي عرف هذا؟

openkandil.com

وهل من الواجب والمنطقي ألا أزور أحدًا إلا وقد أخذت إذنًا من خالتي واتفاقًا مع العمات لنذهب سويًا ثم أعلم أنهن وفي أكثر المرات يفعلن الشيء نفسه دون إعلامي ولو لمجرد الإعلام فقط؟!

إن حبال الود ذبلت حتى بليت وكانت في السابق في عز قوتها وقوة ارتباطها بدون هذا النفاق الاجتماعي كله، كنت أعرف واجبي تجاههم ويعرفون واجباتهم تجاهي فما الذي حدث؟!

إنك قد جانبت الصواب وبذرت الشقاق، فأرجوك افعلي ما تعتقدين أنه الصواب في نظرك وخططي لتصلي إلى هدفك، ولكن عليك ألا ترغمي الآخرين على المضي في طريقك، فللآخرين مبادئ لو سعوا إلى إرغامك عليها فلن تهنأ لك لقمة ولن يخلد لك جفن فارعوي رعاك الله(*).

«أختك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

أرفض الزواج من أجلكما

موقف صعب أقفه لأول مرة، مستقبلي يتحدد منذ هذه اللحظة التي أقرر فيها الأمر، طبعًا علمه عند الله ولكن قد تتضح معالمه نوعًا ما.

شاب في مقتبل العمر، كريم الخلق حميد السجايا يتناسب تمامًا مع أحلامي تقدم إلي خاطبًا فهل أقبل أم أرفضه؟!

أرفضه.. لا لعيب فيه بل لأظل قريبة من فراش والدتي المريضة أرعاها وأقوم على حاجتها هي ووالدي الكبير في السن والمريض أيضًا.

أقبله.. إذن لقد حكمت على والدي بالإهمال والنسيان فإخوتي وأخواتي كلهم متزوجون ولديهم أسر كبيرة يعتنون بها. فمن لأمي وأبي بعد الله سبحانه؟!

إن أمي – حفظها الله – تحتاج لمن يساعدها عند قضاء الحاجة، وعند الاغتسال وعند تبديل الثياب، فهل أتركها لهذه الخادمة الآسيوية، التي لا تربطها بأمي أية صلة حتى وإن أبدت لها بعض الحنان وبعض الرحمة؟

ثم هل هذه الخادمة قادرة على إسعاد والدتي... تجلس معها وتحادثها وتطعمها بكل ود ورحمة؟ هل تتبادل معها الحديث عن أيام زمان تلك الأيام التي تطير بكبار السن على جناح السعادة والبهجة؟ هل؟.

أسئلة كثيرة دارت في مخيلتي وتراءت أمام ناظري حرت في جوابها، ووالدي.. كبير في السن هدته السنون وقضمت ظهره حتى حنته، من له؟ من مؤانسه؟ من تجهز له إفطاره؟ ومن يمد له كوب اللبن؟ ومن سيعتني بملابسه وفراشه؟ الخادمة أيضًا؟!! لا هذا لن يحدث.

فهل الخادمة ستتفهم حاجة أبي؟ هل ستجلس معه ليشرب القهوة؟ هل ستصبر على صراخه وغضبه الذي يعلو ويشتد كلما تأخرت حاجته أو حتى لم تتأخر.

إنني بين أمرين أحلاهما مر، إن وافقت على الزواج فهذا يعني أن أدع والدي تحت يدي امرأة لا تعرف حقهما، ولا يعنيها من أمرهما إلا أن تستلم في آخر الشهر راتبها كاملًا، ثم قد تمل من رعايتهما، وقد تقصر في الاهتمام بهما، وقد تقسو عليهما أيضًا ولم لا؟ وكلنا يعلم كيف تكون نفسية المرء الكبير المريض في آن واحد.

إخوتي لا يقصرون بالمال ويمدون البيت بما يحتاجه ولكنهم مشغولون بأرواحهم عن والدي، وزوجاتهم لم يعتدن أن يفعلن شيئًا كهذا.

فمثلًا هل ستبدل زوجة أخي لأمي ملابسها أو تقدم بغسل شعرها؟ إن والدتي تذرف الدمعات الساخنة وتتألم في كل مرة أقوم بهذا العمل لما يسوؤها من انكشاف ما لا تحب فكيف بحالها من زوجات أبنائها أو حتى مع الخادمة؟

ثم إن زوجي يعني ألا يبقى ولدي مستقر فيوم هنا وآخر هناك، وهكذا مما يؤثر على نفسيتهما كثيرًا، فليس أصح للكبير والعاجز من البقاء في مكان واحد بقرب ملابسه وأدواته وأغراضه وفراش نومه أيضًا فتنقلهما يستوجب انتقال كل هذه الأغراض معهما مما يشعرهما بثقلهما.

إن لوالدتي فضلًا كبيرًا علي، وهذا أمر بديهي، كنت أصغر إخوتي منحتني من صنوف المحبة والدلال الشيء الكثير، كنت أذاكر وأذاكر وأذاكر حتى أحصل على الدرجات العليا التي تؤهلني دخول القسم الذي أرغبه في الجامعة فكانت تسهر على راحتي، وتنام بجانبي حتى توقظني للمذاكرة في الوقت الذي حددته، لم أكن أصنع شيئًا في البيت.

ووالدي بذل ما في وسعه بل فوق طاقته ليسعدني ويدخل السرور إلى نفسي، لم أنس حين كنت في السنة الثانية الابتدائية طلبت منا معلمة الرسم كراسة للرسم، رفعت كراستها لترينا ماذا تعني، فظننت أنها تقصد نفس الشكل كأي طفل فبكيت حين أحضر لي أخي كراسة غير التي حددت المعلمة، ورفض أخي إرجاعها أو شراء غيرها، فما كان من والدي وهو شيخ كبير إلا أن أمسك بيدي وأخذني بنفسه إلى المكتبة البعيدة في آخر الحي لأبحث عن نفس الشكل الذي حددته المعلمة.

إن والدي الآن لا يشرب القهوة إلا من يدي، ويحب الفطائر التي أصنعها له فهل أمنّ عليه بهذا العمل البسيط؟! في لحظة عصبية، جاء المخاض شديدًا وكادت الأفكار أن تتعسر، خرج القرار الوليد الذي أعاد عليَّ والدي تبسمهما وسعادتهما، لن أتزوج الآن!!

سعادتي مقرونة بسعادتكما، وسعادتكما في بقائي بجانبكما، أنا لكما رهن إشارتكما وطوع أمركما ولن أتخل عنكما ولن يفرقنا إلا هادم اللذات فاعلموا الخاطب أن يبحث له عن عروس أخرى ففتاته نذرت حياتها لوالديها. فعسي الله أن يتقبل مني ولا يحرمني دعاءهما المستمر(*).

«ابنتكما»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

رداء الحزن لا ينفعك!!

إيه أيتها الأيام!! حين رأيت زوجة عمي ما عرفتها.. ليست على سابق عهدها لقد تغيرت كثيرًا، كساها الحزن رداءه وزحفت عليها السنون بخطوطها المتغضنة فلم تعد (أم ناصر) تلك المرأة التي تشيع مرحًا وتفيض أنسًا وتعطر المجلس بحلو حديثها. كان المجلس الذي لا تحضره باردًا وثقيلًا، الآن صار المجلس الذي تحضره باردًا وكئيبًا، بات البعض يتمنى تغيبها.

ثماني سنوات مرت على وفاة والدتها ومازال حزنها طريًا وجرحها ينزف دمًا ساخنًا كأنما رُزئت للتو، لم يتغير في حزنها شيء، البكاء.. الدموع.. الكآبة والذكريات، بل حتى الحداد.. تعيش حدادًا مستمرًا، هجرت الزينة والماكياج انعزلت عن المجتمع والناس...الناس الذين يحبونها... ويأسون لحالها.. صارت تكره الخروج للمناسبات وترفض الاستجابة للدعوات.

حين عدت من سفري الذي دام خمس سنوات في الخارج، ذهبت مع أمي لزيارتها فإذا هي تنخرط في بكاء متواصل تتذكر والدتها رحمها الله (كانت تحبك يا أم صالح) تقول لوالدتي ثم تضيف (ما أحلى جلساتها في مدخل البيت على هذا الفراش تطلب القهوة وتناديني لأعطيها إبرة الأنسولين) وتبكي بكاء حارًا (لا أنسى دعاءها على الأولاد حين يتقاذفون الكرة بالقرب منها تدعو عليهم وإذا اعتذروا منها ندمت ثم دعت لهم بالهداية والتوفيق ثم تبكي كأنما سينفطر قلبها، كأن والدتها ماتت البارحة بل كأنها ترانا لأول مرة.. حينما ينفرط عقد هذه المواقف وشبيهاتها التي حفظناها كثيرًا حتى صارت لحنًا شجيًا على شفاهها تفرغه عند كل زائر. تتمنى لو أنها تسكت!!

الجلوس معها يعني الصمت الطويل أو البكاء الدامي.. ياه.. كم تعذب نفسها بهذا الحزن، الدنيا في عينيها صارت خرابًا، لم يعد للأشياء طعم الحياة، كل الأيام سواء أمس واليوم وغدًا، لا جديد.. أيام معتمة، لا تعني شيئًا ولا توحي بشيء.

مسكينة!! الأسى يغلف عينيها، والوجوم يكسو محياها، واليأس يتسرب إلى روحها.. حين تحضر إحدى المناسبات مرغمة تبقى صامتة، ساكنة، تلتف بعباءتها وتنزوي في أحد الأركان كأنما هي امرأة غريبة أخطأت العنوان.

لا أعرف ما الذي أصاب زوجة عمي لكنه بالتأكيد ليس شيئًا إيجابيًا!!

إن هذا تسخط على قضاء الله وقدره.. إنه نقص في الإيمان وضعف في الدين، فالموت حق وكل الناس وارده ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، إن موت حبيب لنا لا يعني أبدًا أن تتوقف الحياة عن النبض، ولا أن يتوقف المرء عن العمل، وهذه العزلة لا تفيدك بشيء!!

اسمحي لي زوجة عمي الغالية.. إن عزلتك لم تنفعك، وهذا الحزن لم يؤد الواجب المأمول منه.. مازلت أرى تقصيرك في عبادتك.. مكثت تهاتفين ابنتك ذلك اليوم حتى خرج الناس من صلاة العصر ولم تعيري ذلك اهتمامًا. فأين أثر الموت في نفسك؟! ومازلت تركبين مع السائق لوحدك، ألا تخافين أن يصيبك حادث أو يزورك ملك الموت وأنت في السيارة معه!!

إذن ما هذا الحزن على وفاة والدتك وهي امرأة كبيرة صالحة إن شاء الله لا تعرف إلا الذكر وقراءة القرآن والاستماع إليه.. يجب أن يكون حزنك على نفسك المقصرة حزنًا يدفعها للاجتهاد في العبادة والإكثار من عمل الصالحات.. هذا هو الأثر الحقيقي للحزن.

هذا الذي تعيشين ليس حزنًا.. إنه بؤس ويأس من رحمة الله تعالى... إنه قنوط وسوء ظن بالله.. إنه ضعف التوكل على الله وعدم تسليم مقاليد الأمور إليه.

قومي.. وانفضي عنك غبار الهم العالق بقلبك.. أحيي بذرة الإيمان في فؤادك.. تجملي بالصبر وتحلي بالثبات... اجتهدي لتكون صلاتك صحيحة.. رطبي لسانك بذكر الله وتسبيحه بدل هذه الذكريات التي تجترينها كلما قابلك أحد.. ثقي أنها لن تنفع والدتك في قبرها.. بل ستسعد حين تتصدقين عنها، وحين تدعين الله لها.

عودي (أم ناصر) تلك المرأة الحيوية، النشطة، التي تبهج الجالس معها، وابتعدي عن هذا التصوف المذموم، والانغلاق والتقوقع المميت.

موت أمك مصيبة لك ولكنه لا يعني نهاية العالم، ولا اسوداد الدنيا.. أتمنى أن تدركي حقيقة الدنيا الفانية.. ولكن تذكري أن تعملي لها كما لو كنت تعيشين أبدًا، وأن تعملي لأخرتك كأنك تموتين غدًا.. هذا هو التوازن المطلوب وهذا هو المأمول منك.. وفقك الله وجبر مصيبتك(*).

«أخنك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

معجزة الشفاء

كنا في مستشفى النور في مكة المكرمة في غرفة العمليات حين طلبنا بالنداء من غرفة الطوارئ... وبعد أن استطعت إنهاء بعض ما أقوم به، تركت المهمة للزملاء لحين عودتي، ذهبت مسرعًا إلى غرفة الطوارئ وإذا بكل شباب الأطباء ينتظرون قدومي أو أي من الجراحين على أحَرَّ من الجمر.

امرأة مغربية جاءت للعمرة مغمى عليها.. ورجلها وأصابع قدميها زرقاء.. بل سوداء... التشخيص واضح غرغرينا ولابد من بتر الجزء الميت من الأصابع والقدم قبل أن ينتقل إلى باقي الأطراف خاصة والسكر مرتفع عند المريضة.

والمشكلة أن زوج المريضة أو محرمها يرفض التوقيع على ورقة الموافقة على إجراء العملية وإخلاء مسئولية الأطباء في حالة إجراء أي عملية جراحية.. وهو إجراء مهم في مستشفيات العالم أجمع.

السلام عليكم.. يا حاج أنت زوجها أم محرمها؟ أنا زوجها... أنا الطبيب الجراح عبد الرحمن أهلًا وسهلًا لقد استدعاني الشباب من غرفة العمليات، وتشخيص الأطباء صحيح وزوجتك بحاجة إلى عملية جراحية لبتر التالف من أصابعها وقدمها.. وكما قال الأطباء: إن لم تجر العملية فقد يمتد موت الأطراف إلى مناطق أخرى في الجسم ويقتلها لا سمح الله وهي لازالت في منتصف العمر.. أي في الأربعينات.. لم لا توقع هداك الله؟ والله يا دكتور.. لقد أخبرنا الأطباء في المغرب بهذا.. فرفضت هي التوقيع هناك.. وجئنا للعمرة طالبين من الله الشفاء، وهذا ثاني يوم لنا في مكة عمرها الله، وقد أقسمت لها يمينًا ألا أوقع على بتر أي طرف من أطرافها لسر تقوله لي فيما بعد.

يا أخي التحلل من اليمين سهل.. خاصة والشرع يقول الضرورات تبيح

المحظورات، وكفارة اليمين ممكنة وأنت في ضرورة طبية ملحة. لا أستطيع يا دكتور.. لقد أقسمت لها أشد الإيمان.. وقد أقسمت أن يميني هذا لا يمكن أن أكفره، يا أخي العزيز.. أيها الحاج الفاضل.. الحرم مليء والحمد لله بالعلماء.. نستطيع إرسالك بسيارة الإسعاف.. سلهم وخذ فتواهم وسطر قرارك. - لا يمكني يا أخي حاول بعض الشباب التدخل.. منعتهم.. لقد مرت بي حالات حجاج ومعتمرين.. أملهم الموت في مكة المكرمة وأن يدفنوا فيها.. فهم يرفضون العلاج أملًا في الموت في الحرمين الشريفين وأن يدفنوا على أرض الحرمين وهو تصرف خاطئ، لابد لعلماء الشرع من التنبيه عليه، كما تريد يا حاج ولكنك مسئول أمام الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لو حصل أي شيء لزوجتك.. ونرجو أن تعلم ما هي المسؤولية.. الأمر أمر حياة أو موت وسنعطيك ورقة توقع عليها نتكلم فيها عن تشخيص حالة زوجتك وأننا شرحنا لك الأمر وأنك رافض إجراء أي عملية جراحية وأنك تتحمل كامل المسؤولية عن هذا القرار وتخلي طرف المستشفى والأطباء، لا مانع عندي وقع الورقة.. وعدت إلى غرفة العمليات لإنهاء العملية.. ورأيت الشباب قد قاموا بالواجب فشكرتهم وأنهينا العملية التي بين أيدينا والحمد لله بنجاح. وكنت شارد الفكر.. أفكر بهذه الحاجة التي رفضت إجراء العملية.. لقد مرت علينا حالات في أمريكا أثناء التدريب والدراسة لأشخاص يرفضون إجراء عمليات جراحية لأسباب دينية، فنقل الدم عمل محرم عند المسيحيين العلميين وهي فرقة مسيحية أمريكية لا عهد لي بغير هؤلاء من يحرم إجراء عمليات جراحية وبالعكس فإن ديننا الإسلامي الحنيف يحث على العلاج ألم يشر المصطفى ﷺ فيما معناه أنه لا يوجد داء إلا وله دواء أو كما قال. ترى ما سبب إحجام هذه المرأة؟... هل سأستطيع أنا وزملائي إقناعها بإجراء هذه الجراحة؟ أهو خوف المرأة من قطع قدمها وجعلها عاجزة عن السير وهي تؤثر الموت على أن تقطع أصابعها وقدمها، كنت أفكر بكل هذا وأنا أسير نحو سرير المرأة.. مشكلتنا حاليًا تخفيض

مستوى السكر في الدم.. ومشكلتنا في عالمنا العربي أن المريض لا يعرف الحمية، ولا يستعمل الرياضة.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ مررت على المرأة لا زالت في إغماء.. حالة الأصابع والقدم كما هي.. الأنسولين يعطي لها بين فترة وأخرى.. والمغذي موصل بزندها الأيمن، خرجت من المستشفى ليلًا بعد يوم حافل من العمل.. ولكن موضوع المريضة المغربية جعلني شارد الذهن، ترى ما سبب امتناعها وزوجها عن إجراء العملية وسبحان الله كثير من الناس يعتقد بأن الطبيب قد تعود على مواجهة الموت والمرض.. فهو يتعامل مع الموت يوميًا ويعتقد الناس أن الطبيب لا يتأثر.. وهذا غير صحيح فهناك أشخاص لا زالت صورهم في ذهننا رغم موتهم منذ عشرين سنة أو أكثر، بل نذكر عن البعض كل التفاصيل الدقيقة.. ويؤثِّر علينا البعض فتكون حياتنا جحيما.. خاصة على زوجاتنا الصابرات.. اللاتي لا يشاهدن إلا هجوم الصحف على بعضنا لأخطاء بسيطة.. ولتصرفات خاطئة من البعض.. ونحن بشر.. يخطئ البعض منا.. ما هذا الشعور الغريب يا عبد الرحمن.. دع الصحافة تتكلم ما تشاء.. ألم تعش يا عبد الرحمن في بلاد الحرية الصحفية؟!! النقد بناء.. النقد صحة.. تصليت الضوء على الظلام يبدده.. ونحن بحاجة إلى تسليط الضوء على ظلام الفساد والرشوة والمحسوبية والوساطة.. لابد من تخفيف منابع الفساد الآسنة في مجتمعاتنا وتطهيرها وتعقيمها.. أتتكلم عن النقد؟ مرحبًا بالنقد.... مرحبًا بالصحافة حتى لو أخطأت.. ثم أتعمل يا عبد الرحمن للراتب أو المال؟.... لا والله.. كل هذا الساعات.. إنك تخدم أمتك... ما أجمل الدعاء الذي تسمعه من فم مريض بعد تخلصه من الألم.. وعند سيره على قدميه.. وعند تركه المستشفى.إن لله عبادًا خصهم لخدمة الناس.. جعلنا الله منهم، عدت صباحا.. وكان أول ما قمت به مروري على المعتمرة المغربية.. حتى قبل مروري على من أجريت لهم عمليات بالأمس.. كانت الساعة السابعة صباحا.. لا زالت في إغماء

تام. السكر والحمد لله قد نقص عندها ولكنه لا زال مرتفعًا.. القدم كما هي. مر أسبوع والمريضة كما هي.. في حالة إغماء.. بيد أن السكر بدأ في الانخفاض والحمد لله..

وكنت أزورها مرتين في اليوم.. صباحًا ومساء.. كانت صحتها تتحسن ببطء شديد.كنت أمر على مريض أجريت له عملية كبرى.. وإذا بالممرضة تجري.. دكتور عبد الرحمن.. دكتور عبد الرحمن نعم.. نعم.. لقد عادت إلى الوعي الحاجة أنعام وبدون أن أناقش أو أتكلم.. أنهيت معاينتي للمريض.. وسرت خلف الممرضة.. بخطى سريعة نحو سرير الحاجة المغربية أنعام. السلام عليكم يا حاجة... وعليكم السلام قالتها بصوت ضعيف.

كيف الحال.. نرجو الله أن تكوني بكل خير.. لا بأس قالتها بلهجة مغربية.. أخفت منها الهمة. كان السكر منخفضًا إلى درجة مقاربة للطبيعي.. ورأيت تحسنًا قليلًا في أصابع القدم والقدم، يا حاجة كيف حال رجلك؟ الحمد لله.. ولم أستطع أن أجلس معها.. وأحاول كشف السر.. فقد كانت ضعيفة جدا.. طلبت من الممرضة أن تبدأ في مساعدتها في المشي. فقد مر عليها أسبوعان لم تتحرك من السرير إلا بواسطة الممرضات.. بحيث يحركانها تحركًا بسيطًا.. وتدلك مسؤولة العلاج الطبيعي جسدها.. وعدت إلى مرضاي الآخرين. وفي وقت لم تكن عندي أي عملية.. ولا معاينة مريض.. سرت بمفردي.. حتى وصلت سرير الحاجة أنعام.. كانت تجلس بدون مغذ في ساعدها.. تأكل علبة لبن قليل الدسم.. ووجهًا يجلس بجانبها وقد لفت الستائر سريرها فأعطتها نوعًا من الخصوصية. سلمت فابتسما. أخذت الأوراق المعلقة على السرير لرؤية آخر تحليل سكر لها.. ضربات القلب ضغط الدم وفحصت القدم لقد خف اللون قليلا.. مما يدل على تحسن في الوضع... حاجة أنعام. كيف حالك؟.. بأسعد حال يا دكتور.. كل صلاة بمائة ألف صلاة هل هذا المستشفى في الحرم؟ نعم يا حاجة أنعام.. أنت في منطقة الحرم الحمد لله يا حاجة أنعام في سؤال أريد أن تجيبيني

عليه. ما موضوع رفضك العملية؟ - يا دكتور لن تؤمن أو تصدق بما أقول.. كيف تحكمين على شيء مقدمًا؟!!.. قصي قصتك ولنر هل أصدقها أم لا؟

كنت في المغرب.. وبدأت رجلي يتغير لونها.. وقال الأطباء: لابد من قطعها.. وكنت مقررة دخول المستشفى لإجراء عملية البتر.. ولكنني نمت.. فرأيت فيما يرى النائم ملكًا سلَّم عليَّ وقال: تقبل الله صيامك هذا اليوم وصلاة تهجدك ودمعاتك بعد الدعاء.. جاء الشفاء من الله. جاء الشفاء من الله.. اذهبي إلى بيت الله الحرام.. ولا بتر بل شفاء.. لا بتر بل شفاء.. فسألت الملك: أوهم أنت أم حلم - أنا ملك من ملائكة الله الصالحين إن شاء الله.. جئتك مبشرًا..أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله صحوت.. فسألت مشايخ مراكش عن هذا الحلم.. فأجمع الجميع على أنه حلم حقيقي.. وأن الشفاء قادم بإذن الله تعالى.. - وعندها صدقت الشيوخ.. وسافرت لأرض الحرمين الشريفين.. ابتدأت بزيارة المسجد النبوي الشريف ثم جئت مكة عمرها الله.. وحصل ما حصل.. ما رأيك يا دكتور؟ أما الرؤيا.. فلست من مفسري الأحلام.. ولابد من سؤال شيوخنا هنا عنها.. أما عن الشفاء فهو بإذن الله وأمر الله.. والله الشافي المعافي. ومرت شهور ثلاثة.. وإذا بالحاجة أنعام تسير على قدميها ويختفي اللون الأزرق.. وتنتهي الغرغرينا.. كانت تغسل رجلها يوميًا بماء زمزم على نية الشفاء.. وكانت مؤمنة بالشفاء وشفاها الله.

ملاحظة: قد رويت هذه القصة لمجموعة أطباء.. فأخبروني بأن حالات مشابهة قد حصلت في أفغانستان أثناء الجهاد الأفغاني، والبوسنة والهرسك، وكوسوفو، والشيشان.. وسبحان المعافي الشافي(*).

(*) موقع «صيد الفوائد»، نقلًا من مجلة «صحتك» العدد (٤٢).

تكفر العشير أم تخشى العين؟!

مع أننا معاشر النساء متهمات دائمًا بكفران العشير حتى تثبت براءتنا إلا أن هناك من استعذبت هذا الوصف وثبتت عليها التهمة فهي لا تسعى إلى البراءة منها ولا تود الانفكاك عنها كحال أختي (سارة) التي تردد دائمًا (حظي تعيس، زوجي كدَّر حياتي).

إنها تتحدث عن زوجها بإجحاف وتنعته بأسوأ الصفات (بخيل، حاد المزاج، معقد...) حتى إنها طبعت في أذهان المحيطين بها صورة سيئة عن زوجها ياله من ذنب عظيم، إثم كبير هذا الذي تفعله!!

لو كانت محقة فيما تقول وكان لزوجها هذا الكم المتراكم من الصفات السيئة لما جاز لها أن تتحدث عنه بهذه الصورة، بل وجب عليها الصبر عليه واحتمال الأذى واحتساب الأجر وحفظ عرضه مادام مصليًا حتى تلقى الله أو يفرجها.

فكيف بها وهي تكذب فيما تقول وتبالغ، وتجحد عشرته وتكفر حقه عليها؟!

كم أخاف عليها العقوبة إنها تقول عن زوجها أنه بخيل! لأنه لا يقتنع كثيرًا بالعلاج في المستشفيات الأهلية الخاصة وبالذات إن كان المرض صداعًا أو أنفلونزا أو تلك الآلام المعتادة بينما هو لا يمانع أبدًا في أن تكون ولادتها في أحد هذه المستشفيات لأن هناك طبيبة ممتازة يثق بها!! أو لشهرة المستشفى بجودة الخدمة فهو يراعي حالها أثناء الولادة ويدفع من جيبه الكثير في سبيل راحتها!!

ومع هذا فهو بخيل!! لأنه مرة واحدة من عشر مرات ذهبت فيها إلى السوق رفض أن يشتري لها الذي ترغبه إما لعدم قناعته به أو لضيق يده ذلك الوقت أو لتعكر مزاجه أو لأي سبب، فتنسى كل ما اشتراه لها وأتحفها به في تلك المرات التسع ولا تذكر إلا هذه فقط!!

إنها ترتدي ملابس جميلة وكذلك أبناؤها ودائمًا تجدد حليها وحقائبها مع أنها ليست موظفة وفي أكثر من مرة أخرجت محفظتها من حقيبتها لتساهم معنا في العشاء وكانت ملأى بالمئات!! وتقول: (سليمان) بخيل!!

ثم إن زوجها (حاد المزاج)!! وعصبي!! ولا يطاق غضبه!! لأنه حين يأتي من العمل لا يحتمل حديث أحد، وعند أقل سبب يصرخ ويشتم، بل ربما ضرب، وهو لا يأخذها إلى السوق أو إلى زيارة أحد إلا بعد شجار وجدال يُظهر فيه (لسان الموت)، ثم إنه أحيانًا يغضب لسبب تافه جدًا!! كزيادة الملح في الطعام!! أو حين يجد على السفرة صنفًا واحدًا مع السلطة!!

وهي دائمًا تكرر على مسامعنا مواقف مثل هذه لترسخ في أذهاننا صورة زوجها العنتري كالصقر وصورتها الوديعة المسالمة كالحمامة، منتهى البطش مع منتهى الضعف!!

أختي.. من الطبيعي أن يكون مزاج زوجك متعكرًا حين يعود من العمل خاصة في الصيف فالمسافة ليست قصيرة بين البيت والعمل تحت وهج الشمس المحرقة وأشعتها اللاسعة كالسياط ثم إنني أعرفك جيدًا!! فكأني بك تبادريه وهو في هذه الحالة بطلباتك وتلحين عليه مما يدفعه للغيظ والحنق.

وأنا لا ألوم زوجك حين يغضب على الغداء فأين المشتريات التي يغدق بها البيت من خضر وفاكهة ومواد غذائية أخرى وليس لك عذر، في وجود الخادمة!!

إننا نقول عن الشخص: إنه يغضب إن كان من طبعه وديدنه هذا، أما من يغضب لدقائق ثم يعود إلى سابق عهده بعد عودته من المسجد أو من أي مشوار آخر فهذا لا يعد غاضبًا حاد المزاج فافهمي ذلك جيدًا. ولا تقولي: إن زوجك معقد!! حين يطلب منك أن تقللي الخروج من البيت فهو نادرًا ما يخرج وأنت اليوم هنا وغدًا هناك، لا

تنقضي أشغالك ولا تنتهي أغراضك!! وهو في البيت يُعلم الأبناء ويتصفح الجرائد ويشاهد التلفاز ويمل من عمل هذا لوحده.

ثم إنه حين رفض نومك عند أهلي في حال سفره فهذا لحرصه عليك وعلى الأبناء. أنت تعلمين حال أهلي. إخواني في سهر دائم، الأبواب مشرعة طوال اليوم وأصدقاء محمد في الملحق يتمرغون عند الدش، ثم إن لكل رجل قناعاته ومبادئه التي يجب أن ينشأ أبناؤه عليها لماذا تريدين النوم عند أهلي وتلحين عليه؟!

لماذا تعكسين صورة المعقد المتزمت على زوجك؟!

لو كان زوجك كما تقولين فاعتبريه مصيبة وبلاء من الله واصبري واحتسبي الأجر فالصابر في الجنة. وإن كان خلاف ما تقولين وهذا الذي عرفناه فيه بعد فاحمدي الله على فضله واشكريه على نعمه فالشاكر في الجنة.

إن زوجك رجل عملي، يحب النظام والجدية ويقسم وقته بين تدريس الأبناء والجلوس معكم وقضاء حوائجكم وإدخال السرور إلى بيته. فلا تقولي بعد اليوم: إنه حاد المزاج وبخيل فلن تجني شيئًا غير الإثم وربما أيضًا تغير الحال، فلقد تجاوزنا هذه المرحلة التي كنا فيها نفغر أفواهنا اندهاشًا ونقطب حواجبنا تأثرًا لحالك، فكل هذه المواقف العصيبة وإن حاولت تحويرها تظهر وجهًا مشعًا للحقيقة!!

قولي لي بربك: أهو كفران العشير أم الخوف من عيون الحاسدين؟!!(*)

«أختك»

(*) مجلة «الدعوة».

متى تستوعب درس الزواج!!

ولدي (خالد) مازال ذلك الفتى العجول.. الطامح إلى الكمال.. المتسرع في اتخاذ القرار دون دراسة ولا تروٍ.. لماذا هذه العجلة دائمًا؟ لا أعرف.

هذا هو زواجه الرابع.. ومع هذا لم يتعلم الدرس جيدًا، إنه لا يتريث في دراسة حاله، لا يحاول أن يجد لزوجته عذرًا، بل يحكم عليها بالفشل وعدم الصلاحية منذ أول تصادم بينهما مما يؤدي بالأمر إلى النتيجة المؤلمة (الطلاق).

لا أدري ماذا بوسعي أن أفعل من أجله.. إنني أدعو الله دائمًا له بالتوفيق والهداية.. أدعوه أن يرزقه الأناة وسعة الصدر.. ثم إنني أحثه وأنصحه وأذكره بصفة النقص التي تلازم البشر.. ولكن لا حياة لمن تنادي.

منذ زواجه الأول، شعرت بهذه الصفة تبرز فيه، كانت زوجته طيبة وجميلة ولكنها كانت سريعة الغضب كمراهقة تستفز لأتفه سبب، فكان لا يحاول امتصاص غضبها ولا تهدئتها بل يزيد النار اشتعالا... تتعالى أصواتهما حتى يبلغ الأمر حدًا لا يطاق فيخرج من البيت وتذهب هي إلى أهلها منتفخة الأوداج، حتى فرخ الشيطان في عقليهما فكان الطلاق في نظره هو الحل لهذه المعضلة الكبرى!!

ليتها كانت معضلة حقًا.. بل هي مواقف عادية تحدث في كل بيت كل يوم!! هي تريد حضور ذلك الزواج وهو يرفض، الملح زائد في الطعام أو ناقص، الغداء تأخر عن موعده وهكذا.. وحين تزوج مرة أخرى قلت: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، الآن أدرك ما هو الزواج عرف أن المسئولية جسيمة وأن الحياة تنازلات وتضحيات وتفاهم قبل أي شيء، ولكن هذا كان ظنًا في غير محله.

فبالرغم من الهدوء الذي يكسو منطق زوجته وخلقها إلا أن ذلك لم يشفع لها عنده..

ففي إحدى المرات دعا أصدقاءه على العشاء وكانت مدعوة عند خالتها لمناسبة زواج عائلي.. وكانت قد أخبرته بالموعد قبلها بفترة إلا أنه ركب رأسه وآثر دعوة أصدقائه ولما جهزت لهم العشاء طلبت منه أن تذهب مع أخيها فرفض فما كان منها إلا أن اتصلت بخالها معتذرة متعللة بضيوفه.. لو كانت أخرى مكانها لخلقت من هذا مشكلة لا تنتهي.

مواقف كهذه تمر دائمًا بهدوء، ومع هذا بقيت عنده أشهرًا لم تكمل السنة ثم أرسلها إلى أهلها ومعها ورقة الطلاق قال لي: إنه لم يحبها قط!!

خجلت من الناس حين سألوني عن السبب، فتاة مثلها تُحَب،والله لخلقها وهدوئها وحلو منطقها ولكنه ليس كفؤًا لهذه النعمة فحرمه الله منها.

مرت الأيام وقام خالد من نكسته تلك ولملم شتات نفسه وأخبرني عن عزمه على الزواج. دققت النظر هذه المرة.. سألت وتقصيت وأشرت عليه بالكبيرة أو المطلقة.. فالأولى ستكون أشد حفظًا لأبنائها والثانية أكثر تمسكًا بحبل حياتها الزوجية.

فكانت زوجته الثالثة مطلقة وليس لها أبناء.. يبدو أنه أحبها، فتنفست الصعداء.. خدمته بحب وإخلاص وأحسنت له ولي.. وسارت حياتها بشكل طبيعي حتى زف لي خبر حملها.. كان وحمًا قاسيًا جدًا.. نفسيتها مرهقة ومتعبة، يومان في بيت زوجها وأسبوعان في بيت أهلها، وحتى إذا جاءت تكون حالتها سيئة، لا تستطيع صنع شيء في البيت، وجهها مكفهر، تثور وتغضب بسرعة، لا تشتهي الأكل.. محمد لم يعجبه الوضع، بل إنه لم يدركه جيدًا قال: إن هذا دلع!! وإنها تختبر حبه وتستغل عواطفه، أخبرته عن الحمل والوحم وعجائبه لكنه أصر على رأيه لن تذهب إلى أهلها بعد اليوم وسوف نرى نهاية هذا المشهد.

بقيت المسكينة في البيت وتعبت كثيرًا، لم يدخل جوفها شيء منذ يومين، وأهلكها القيء – أعزَّكم الله – فصارت كقطعة جلد بالية، لم تعد تحتمل، اتصلت بوالدها فجاء فأخذها فكانت هذه هي النهاية التي ينتظرها.

هدأت من روعه، حاولت ثنيه عن عزمه.. قلت له: إنه هو المخطئ.. لكنه هداه الله لا يستجيب فكان أسرع قرار يتخذه هو الطلاق، لقد طلقها وهو يشرب كوب ماء من البرادة!! لقد زاد ألمها ونكثت جراحها ثم تزوج الرابعة!!

زواجه الآن يسير إلى حيث لا أدري طريق طويل محفوف بالأشواك والزهور لكنه لا يرى إلا الشوك ومع هذا لا يتوقاه!! أشعر أن زواجه على حافة الانهيار.. هل لازمنا زمن الألم والدموع؟ هل حانت الساعة التي أمقتها أم قربت؟!

خالد مازال تلميذًا بليدًا لا يعي دروسه ولا يفقهها، الزواج مسئولية، والمال الذي أنفقه على زيجاته الأربع كان سيبني له بيتًا رائعًا لو أنه استطاع منذ البداية أن يتفهم ماذا تعني الحياة الزوجية.. إن كره منها خلقًا رضي منها آخر... الزواج بناء شامخ ظاهره الرحمة والألفة وباطنه الستر والصيانة.

الزواج يا ولدي مؤسسة حتى تنجح لابد من قيامه على أسس سليمة دين صحيح وخلق رفيع وحفظ كل طرف للأخر في حضوره وغيابه، وحتى تستمر لابد من الأخذ بالطرق الشرعية لمعالجة الخلل والنقص.

إنك يا ولدي إن اتخذت كل يوم فراشًا مختلفًا لن تستطيع النوم جيدًا. بل ربما لازمك الأرق، وحين تصير على قساوة الفراش لأنه جديد فسيأتي يوم يلين فيه ويحلو عليه المنام.

ولدي الحبيب: متى تستوعب الدرس جيدًا لتدخل امتحانات الحياة بعقل فطن وقلب واع حتى تفرحني بنجاحك فلقد مللت هذا الرسوب المتكرر!! (*)

«أمك»

(*) مجلة «الدعوة».

لا طلاق ولا عدة بل فراق

تفننت وتلذذت بتعذيب أم زوجي، وإبعاده عنها قدر المستطاع، ونسيت حقها الذي فرضه الله علينا.كان الرد انتقام رب العالمين مني، أو انتقامها كان صعبًا، وقاسيًا دمر حياتي من أساسها، تذكرت قوله تعالى: «**ولا تحسبنَّ الله غافلًا عما يعمل الظالمون**» فانهمرت دموعي بحرًا... كثيرًا ما يحدث نزاع صامت أو معلن بين الزوجة وأم الزوج حول الزوج وحقوق كل منهما، فالأم ترى حقها مقدمًا على الزوجة، والزوجة لا تعترف بهذا الحق، وترى أن زوجها ملك خاص، لا تسمح لأخرى أن يكون لها اعتبار حتى ولو كانت أمه، الزوجة غالبًا ما تمتلك أوراق اللعبة، وتعتقد أنها ستكسب، فتضع رأسها برأس أمه، ولكن مهما كانت حساباتها فالحرب محسومة لصالح الأم، لاعتبارات كثيرة، قد تكون مرارة العداوة تجعل الزوجة تتجاهلها أو لا تتفهمها بما فيه الكفاية، فتأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، قصتي أقرب للخيال، وقد تكون رعونتي واستفزازي لأم زوجي هي سبب تعاستي التي لا توصف، فقد انهار كل شيء في لحظة لا تخطر على البال، لهذا أقدم قصتي عبرة لكل فتاة لتتعظ بها: إنه ابن عمي، حيث نشأ كل منا متعلقًا بالآخر منذ الطفولة، حتى إذا كبرنا تم زواجنا وسط فرحة الأهل وأمنياتهم لنا بالحياة السعيدة، عشنا حياة مليئة بالحب والسعادة هي أقرب للأساطير، حتى أصبح البعض يضرب بنا المثل من حيث الانسجام، والحب، والتفاهم والتوافق، كما أكرمنا الله بطفلين، الولد حمل اسم جده والبنت حملت اسم أمي، زوجي يحبني كثيرًا حبًا أحسد عليه.

أما أنا جميلة بشهادة الجميع، وأهتم بنفسي، قد يكون الجمال وما حظيت به من حب دفعني أن أفتعل العداء مع أمه، أو بالأصح أتسلى بإغاظتها بأسلوب بارد، لأنني

ممسكة بكل الخيوط، وأحس في قرارة نفسي أن ما أقدم به خطأ، ولكنني متأثرة بما أستمع من كراهية الأم لزوجة الابن، استطعت أن أحكم قبضتي على زوجي حتى أصبح اهتمامه بأمه في حدود ضيقة، واستمرت الأيام وأنا أتعمد إغاظتها، استمرت اللعبة عندما لم يعر ابنها أذنًا صاغيةً لشكواها، كنت أشعر أنني أتمتع بدهاء يفوق دهاء صويحبات يوسف!!حتى جاء ذلك اليوم المشئوم، الذي سددت لي فيه هذه المرأة الضربة القاضية التي نسفت كل شيء، لا أدري أهي صادقة أم استفزازي لها جعلها تقف هذا الموقف؟ ومهما كان فأنا الخاسرة والنادمة. في ذلك اليوم مرضت هذه العجوز، وجئت أزورها، وقلت لها اكتبي وصيتك، تنهدت وقالت لي: الموت حق، عندما رجع زوجي كالعادة نادى أطفاله ولاطفهم، وحدثني عن الذكريات الجميلة التي عشناها.

وقال لي: لا أعرف بدونك كيف أعيش، كل الناس يحسدونني، قلت له: وأنا كذلك ثم ذكرت له أن أمه مريضة لا بأس من زيارتها، فذهب وما هي إلا دقائق حتى جاء زوجي بوجه لم آلفه عليه جاء عابس الوجه، مطأطئ الرأس، قلت له ماتت؟ قال: لا ولكن.. ولكن ماذا؟ خرج من البيت دون أن يكلمني لحظتها أدركت أن أمه قالت له شيئًا أزعجه، ذهبت لها وسألتها بأسلوب تهكمي، وبلهجة التعالي والغرور، قلت لها: ماذا قلت يا عجوز لابن عمي؟ قالت لي ببرود وبصوت متهدج: الموت حق، وأنا كنت جاهلة أنت وابن عمك أرضعتكم سويًا، وسمعت الشيخ في الإذاعة يقول: إن الأخت بالرضاعة لا تتزوج أخاها من الرضاعة، وسألت العلماء قالوا لي: زواج ابنك باطل؟ صرخت في وجهها قلت لها: دمرتني؟! حرام.. أنت حاقدة، لحظتها دارت بي الدنيا وسقطت منهارة لقد وقعت الكارثة وأصبحت حديث الناس، سألت أمي عن موضوع الرضاعة فقالت لي: هي رضعات لم تتجاوز أصابع اليد الواحدة ولكن هذه

المرأة أقسمت أنها أكثر من أصابع اليدين، وبعد الرفع للقضاء صدر الحكم بالتفريق بيني وبين زوجي دون طلاق وإلحاق الأبناء لقد ضاع كل شيء جميل في حياتي، نعم أنا مذنبة فقد أكون دفعتها لأن تتمسك برواية الرضاعة حتى تحطم قلبي كما حطمت قلبها فالجزاء من جنس العمل ولحظتها انهمرت دموعي وسالت بحرًا وتذكرت عظيم الجرم والظلم الذي ارتكبته في حق تلك المرأة المسكينة وما آل إليه أمري(*).

❀❀❀

(*) موقع «صيد الفوائد»، نقلًا من مجلة «شهد الفتيات» العدد (١٣).

obeikandl.com

كيف تكسبين من حولك؟!!

ما أقبح أن يريد المرء من الآخرين أن يهتموا به في حين أنه لا يهتم بهم، ويريد أن يقدموا له الخير وهو لا يبذله لهم إن هذا هو منتهى الأنانية.

ابنتي (سمية) مُدرسة وهي متزوجة وتسكن في حي آخر، ولي من البنات ثلاث غيرها كلهن متزوجات اثنتان منهن معلمتان أيضًا ولهن جميعًا أولاد وبنات، إلا أنهن لسن مثل سمية فهي تزوجت وكأنها لم تتزوج، أعني في وجودها بيننا واهتمامها بإخوانها ومعاونتي على تربيتهم، فهي دائمة السؤال عنهم وعن دروسهم، تحدثهم في الهاتف، وتمازحهم وتعطيهم جزءًا من اهتمامها الصغير قبل الكبير والمشاكس قبل الأديب، تلاطف الصغار وتستمع إلى الكبار حين تأتي لا تخلو يدها من علبة حلوى أو كيسًا من رقائق البطاطا توزعها عليهم، ولا تعود إلى بيتها مساءًا إلا وقد تفقدت حاجاتهم، فهذا إبراهيم لا يروق له كيَّ الخادمة لقميصه، و«علي» يجد صعوبة في التعبير والإنجليزي، فتكوي لإبراهيم دون أن يشكو لها ذلك ثم تجلس مع علي تساعده في دروسه ولا تنس أبدًا أن تدس في يد «ممدوح» مبلغًا من المال يعينه على المتطلبات الجامعية.

«سمية» هي بنت البيت وملحه تفعل الخير من تلقاء نفسها لا تنتظر أن يوجهها إليه أحد، حينما جاءها العيال لم يتغير منها شيء فلإخوانها مكانة محفوظة.

بفضل الله ثم بجهودها اتجه أبنائي للطريق الصحيح فانضم إبراهيم و علي لحلقة التحفيظ في الجامع وتبعهما صالح وعبد الرحمن، أما ممدوح فقد أقلع عن كثير من العادات السيئة وبدأ يخطو نحو الالتزام.

وكنتيجة حتمية لهذا كله صارت سمية محط اهتمام إخوانها ومستودع سرهم ومحل ثقتهم، يسألونها رأيها في أمور كثيرة ويسرعون في الاستجابة لها وخدمتها حتى وإن لم تطلب منهم ذلك.

وهذا الذي أثار أخواتها ضدها، فبدأن يتذمرن من الوضع ويعتبن علي لسكوتي عليه. فلماذا إخواننا دائمًا في خدمة سمية وطوع هواها؟! وأبناؤها محل رعاية وحنان خاصين؟ وحتى زوجها له الحفاوة والتقدير اللذين لا نرى جزءًا منهما يقدم لأزواجنا؟! هكذا قلن!! وهن نسين أو تناسين ماذا تفعل سمية وماذا فعلت؟!

حين اشترى ممدوح سيارة بالتقسيط سلمته نصف قيمتها كمساعدة ليرتاح من شروط التقسيط؟!! وهو ما زال طالبًا في الجامعة بينما لم تقدم هديل سوى خمسة آلاف كدين وقالت: أتمنى ألا يعرف زوجي ذلك!! وما الضرر إذا كان أخوك سيقوم بسدادها لك علم زوجك أو لم يعلم؟!!

أيام الاختبارات تأتي سمية كل يوم لا يكون فيه مادة لها تصححها، تدرس إخوانها، وتراجع لهم، وتوفر لهم الجو المناسب، تعمل لهم العصير والشاي وهي أيضًا تدرس ابنتها في الصف الثاني الابتدائي.

ولن أذيع سرًا لكن يا بناتي إن أخبرتكن أن سمية هي التي أعطت عليًا المال الكافي ليسجل في دروس التقوية التي فتحتها المدرسة لأنها لم تنس أن والدها المتقاعد لا يملك من المال ما يكفي لمثل هذه الأمور.

سمية شعرت بعد زواجها بخطورة الوضع الذي يعيشه إخوانها فوالدهم كبير في السن ولا يعرف حيل الشباب ولا حتى متطلباتهم وأنا ما عدت قادرة على ضبطهم واحتوائهم وأخواتها كلهن متزوجات، خافت أن يفقدوا السند والمعين المادي والمعنوي فوجدت الحل في كسبهم والتودد إليهم والقرب منهم ومن مشكلاتهم ونفسياتهم، فأعطتهم أغلى ما تملك الوقت والمال والكلمة الطيبة، لم تمن عليهم بمعروفها ولم تشعرهم بفضلها عليهم ولم تربط هذا كله بمدى ما يقدمونه لها من خدمات ومساعدات.

ليس في أخواتها من عملت مثلها، كلهن يأتين آخر الأسبوع للزيارة المعتادة ولا يعرفن عن حال إخوانهن شيئًا.

الخميس الماضي كان صالح في رحلة مع حلقة التحفيظ إلى إحدى الاستراحات وقد أخذ معه بعض الكعك والفطائر وترامس الشاي والقهوة!!

من الذي صنعها؟! من الذي يتصل كل يوم ليعرف أحوال هؤلاء الأولاد؟ وما الذي يحتاجونه؟! إنها سمية حين علمت بخبر الرحلة جاءت بعد عصر الأربعاء وجهزت لأخيها حاجته ليخرج مع رفاقه عالي الرأس!!

أبعد هذا كله تغضبن حين يسارعون أعني إخوانكن في تقديم خدماتهم لإحضار سمية أو إرجاعها لبيتها أو النزول بها إلى السوق أو المكتبة أو تخصيصها بزيارة أو اتصال أو الاحتفاء بأبنائها أو زوجها أو شراء حاجة لها أو الذهاب بأحد أبنائها إلى المستشفى أو أي مكان آخر.

إن غرفهم ملأى بالساعات الحائطية الجميلة والميداليات الفضية الفاخرة والكتب القيمة والأشرطة النافعة وبعض ألعاب الكمبيوتر الهادفة وكلها هدايا من سمية فقط وليس لكن فيها نصيب!!

فقبل أن تغضبن وتعتبن وتثرن فكرن جيدًا في أن من يريد من الآخرين أن يهتموا به يجب أن يهتم بهم أولًا ويبذل لهم نفسه وماله ووقته.. أظن أن عباراتي واضحة ولا تحتاج إلى إيضاح. وفقكن الله إلى خيري الدنيا والآخرة(*).

«أمكم»

(*) مجلة «الدعوة».

openkandil.com

لا تدمروني

أنا فتاة أنعم الله عليَّ بنعم شتى وكثيرة، نشأت - ولله الحمد - في أسرة محافظة للغاية، بل أنني كنت في أمور عديدة لا أقبل بها، مثل سماع الأغاني علنًا والحديث المطول بالهاتف، من نعم الله أنني كنت حريصة على دراستي وحريصة على الوصول إلى قدر مرضي فيها، كذلك من نعم الله عليَّ أنني أحب القراءة بكافة أشكالها، وكثرة القراءة جعلت العديد من الجوانب تنضج في فكري، من نعم الله أنني كنت اجتماعية ومحبوبة، وكثير يطلق عليَّ (شخصية ناضجة، مثقفة، أكبر من سنها، مرنة، فاهمة، قادرة على تحمل المسؤولية..الخ)....المهم أنني تخرجت وفرحت بالتخرج ويسر الله لي الحصول على وظيفة طيبة، وبقيت أنتظر وظيفتي الأخرى، كنت أريد الارتباط بإنسان طيب وكانت شروطي متواضعة للغاية، وجاء هذا الإنسان الطيب، أقل مني اجتماعيًا ودراسيًا، لكن لم أكن أنظر إلى هذه الأمور، يكفي شهادة من حوله بطيبته والتزامه، لكنني صدمت... قولها ليس تعبيرًا أنا فعلًا صدمت برفض عائلتي، نعم كانوا ينظرون لي نظرة أنه ليس أي إنسان يليق بها، يريدون مركزًا اجتماعيًا مرموقًا، وجاء آخر وآخر وعائلتي لا يرجعون لي بل يناقشون الأمر بينهم ثم ينهونه بطريقة ما... في نصيب،...هذا لونه وآخر عمله وثالث أهله...الخ.

الأمر أثر فيَّ كثيرًا أو تبخرت أحلامي وأدخلت الإنترنت غرفتي، بدأت بالشات وانسقت فيه ثم أدمنت المسنجر - استغفر الله - وأصبحت أتلقى الأفلام الإباحية والصور الإباحية وأمارس الجنس الإلكتروني، حتى منَّ الله عليَّ بصديقة طيبة نبهتني وأنبتني واستحلفتني أن أمتنع عنه، وفعلًا توجهت نحو المنتديات، وهناك وجدت عالم ثقافي راقي ووسعت مداركي لفترة طويلة إضافة إلى أنني أصبحت أحب الأغاني

وأشتري الأشرطة وأدندن بها، ثم انشغلت بالمنتدى حتى أعجبت بأحد الكتاب في المنتدى نفسه، وبدأت العلاقة بيننا، رسائل بريدية، بطاقات، ردود، ثم جوال،طبعًا لم أكن من الغباء بأن أنساق له، بل على الفور قلت بصراحة أنني أستلطفه، قرر التقدم لخطبتي، وبدأنا نستخير لكن كان موقف الأسرة سلبيًا رغم أنه لا يعيبه شيء، طبعًا كرد فعل من أسرته قاموا بتزويجه،حاولت الابتعاد عنه، أبتعد وأعود، وهو كذلك، لكنني في هذه الليلة قررت توبة أكيدة بأن أترك طريق النت والعلاقات وأتوجه إلى الله لينقذني ويرزقني من حيث لا أحتسب زوجًا صالحًا يعينني في الدين والدنيا آمين.

أعود لقصتي وأخبركم أنني واجهت عائلتي، أخبرتهم بشجاعة مفتعلة أنني أرغب في الارتباط، صدقًا كنت أخاف على نفسي وما كان الحياء لينفعني وعمري يذبل والمغريات توهنني... أهلي أنكروا أن الأمر بيدهم بل عزوا ذلك إلى النصيب، والمصيبة أنهم يوسعونني نصحًا أنا،وأخواتي، اتركوا المسلسلات، غطوا أيديكم، اتركوا الأغاني،.....الخ كيف لا يأمرون أنفسهم بالتخلي عن العادات العقيمة والمساهمة في سترنا في بيوتنا؟.

المهم أنني لجأت كذلك للخاطبات للبحث عن الإنسان المناسب، وحدث وتقدم إنسان طيب لكن تم رفضه لأنه ليس من العائلة... يشهد الله أنني في صراع، أريد ستر نفسي، وتركت أمورًا كثيرة، تركت سماع الأغاني كي لا تؤجج عواطفي، تركت علاقتي مع ذلك الإنسان طلبًا لرضا الله رغم عظم مكانته في نفسي، فمن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، وإنني أطالبكم أن لا تنسوني من صادق دعائكم وأن يخاف كل مسلم ربه في بناته، فها أنا مثال لديكم، كنت مثال للأخلاق ولم يخطر في بالي قط بأن أنجرف في الحديث مع أي إنسان....أسأل الله أن يغفر لي ويرزقني توبة نصوحة

ويقبلها مني إنه قريب مجيب.... لتعلموا أنكم محاسبون يا من تتذرعون بالفهم والثبات، الفتاة بمجرد دخولها الكلية قادرة على تحمل المسؤولية، وإنني أنوي وأعزم إن رزقني الله زوجًا طيبًا وذرية صالحة إن أراد إنسان يخاف الله إن طلب إحدى بناتي، فاتقوا الله ولا تحملونا أكثر مما نجد ولا تظنوا الفتاة سعيدة مهما عاشت في وضع رغيد، الزواج هو القرار لأي فتاة(*).

❀❀❀

(*) موقع «صيد الفوائد».

obeikandl.com

متى يلين رأسك الصلب؟!

رأس من حجر تحمله هذه بين كتفيها، يثقل كاهلها ويتأرجح بها يمنة ويسرة حتى تكاد تسقط ولكنها لا تريد الإقرار بذلك، بل تتمادى في عنادها وتتباهى بهذا الرأس الصخري القاسي.

يا لها من عنيدة! ليس في أولادي أحد مثلها، كم تعبت معها في طفولتها وفي مراهقتها، بل حتى الآن في الوقت الذي يفترض فيه تعقلها ورشدها.

أتذكر جيدًا يوم كانت صغيرة كانت تخبط الأرض برجليها مرة وبرأسها مرة حين تصر على طلب أمر نرفضه أو لا نستطيع تنفيذه الآن، ولما كبرت قليلًا كانت تنام دون عشاء وتذهب للمدرسة دون إفطار وتمتنع عن الطعام ليوم كامل لتجبرنا على الرضوخ لحاجتها.

ولكنها لما استوت على عودها أذاقتني المر والصبر لشدة عنادها ومكابرتها عن قبول الحق الذي عليها وتفننت في طرائق المعاندة حتى خلتني معها كخطين متوازيين لا يلتقيان أبدًا؛ فهي مرة تبكي بكثرة وقوة، ومرة تضخم الأمور وتعطيها أكبر من حجمها لتكسب تفاعلنا معها، المهم أن تحقق ما تصبو إليه حتى لو كان فيه هلاكها!!

لم أشر عليها بأمر وأخذت به، لم توافقني في كثير من آرائي، بل تتعمد الأخذ بالرأي المخالف مهما كان فيه من الضرر، لا تنظر إلى العواقب ولا تبصر أبعد من أرنبة أنفها.

لما قبلت في القسم الذي ترغبه أشرت عليها بصعوبته وأنه لا يتناسب مع قدراتها فأنا أمها وأعرف حالها جيدًا، ثم إنها مقبلة على زواج وهذا القسم يحتاج تفرغًا تامًا ومواصلة الدراسة ليلًا ونهارًا، إذ ليست الرغبة هي كل شيء.

هل سمعت مني؟! بالعكس بل ظنت المسألة تحديًا واقتحمت هذا المجال دون سلاح ولا دروع فهزمت عند أولى عتباته وكانت السنة باثنتين.. وفي النهاية حولت إلى القسم الذي أشرت به عليها مصرَّة على أنها لم تفعل ذلك إلا لتكون مع صديقاتها!!

ولما تزوجت كنت أريدها أن تتعلم أصول الحياة التي ستعيشها، وأن تعرف المقبول والمفروض في عرفنا، فهناك أناس ينظرون إليها وينتظرون منها الكثير، فهي الآن ليست صغيرة، بل زوجة مسئولة ومدركة، فكنت أوجهها لما فيه عزها عند زوجها وعند أهله ولما فيه حفظ مكانتها عند أقاربها فكانت تلقي بنصائحي خلفها ظهريًا.

فمرة دعيت لحفل كبير أقامه عمها في بيته سألتها: هل ستحضر؟ وماذا ستلبس؟ فرمتني بجواب كالصاعقة بأن زوجها لا يرغب في ذهابها، لماذا؟! ليس هناك جواب. أفهمتها بأن هناك أمورًا يجب أن تدركها منذ البداية وهي ألا تجعل زواجها مانعًا لها من زيارة أقاربها والاستجابة لدعواتهم، ثم إن معظم الأزواج يستعرضون عضلاتهم في مستهل الحياة ليختبر صبر زوجته وهي يجب أن تبين لزوجها أن هناك أصولًا مرعية لا يمكن أن تفرط فيها فتركها لزيارة عمها مدعاة لغضبه عليها أو ربما مقاطعته وهذا أمر يكرهه الشرع ولو جلست مع زوجها وشرحت له الوضع فهو حتمًا لن يخذلها لأنه رجل كريم الخلق.. أنهيت حديثي وهي ظلت صامتة.. إنني أعلم علم اليقين أن هذا ليس نزولًا عند رغبة زوجها بقدر ما هو شيء يوافق هواها لذا لم تحضر وذهب حديثي أدراج الرياح!!

عاهدت نفسي ألا أحدثها في شيء ما دامت تزداد عنادًا وطلبت من أخواتها أن ينصحنها فربما تسمع منهن ما لا تسمعه مني! فكان أن اتصلت بها «ليلى» تشرح لها بكل رفق كيف يمكن لها أن توفق بين دراساتها وبين عمل البيت، وهي دائمة الشكوى من هذا، بشيء من التنظيم المجدول فقط حتى تتمكن من التفرغ يومي الخميس والجمعة لتحضر اجتماعنا الأسبوعي وتزور أهل زوجها أيضًا، هل قالت سأجرب هذا الأسبوع، سأنظر في أمري؟! كلا، بل ثارت في وجه (منيرة) بأن لا أحد يقدر ظرفها

وأنها لا يمكن أن تأخذ بآرائهم لأنها لا تناسبها!! وبقيت في (حيص بيص) مع أعمال المنزل ومتطلبات الدراسة.

كم مرة أوشك زواجها على الانهيار وكادت أن تحمل ورقة طلاقها لأنها لا تحسن التعامل مع زوجها، تخضع له فيما يعود عليها بالذل والمهانة، وتعانده فيما فيه رضاه، وطاعته وجلب محبته فلا هي كسبته زوجًا ولا هي أثبتت شخصيتها، وليتها حين تأتيني وقد انتفخت أوداجها، وامتلأت غيظًا تقر بأنها هي المخطئة لكان أن تعلمت منذ زمن ولكنها أصلًا لا تراها أخطاء فهي دائمًا المحقة وهي التي على صواب وغيرها لا يفهمون ولا يريدون أن يفهموا!!

حين كانت تجهز لعرسها نصحتها مرارًا بأنها لن تستفيد من هذا الكم الهائل المغالى فيه من الفساتين فركبت رأسها وأصرت على أن تكون خياطة فساتينها في ذلك المشغل بالذات، وها هي الآن تعض أصابع الندم كلما ألقت نظرة خاطفة إلى خزانة ملابسها، ولما ذكرتها بنصحي أعرضت عني!

كم هي عنيدة وقاسية، ليتها تسمع مني ولو مرة واحدة، لتطفئ لهيبًا يضطرم في داخلي، أتعذب من أجلها وأبكي أحيانًا، وهي لا تشعر بي ولا تبالي بسعادتي أو رضاي، اتخذت شعارها أن تخالفني في كل شيء وكأنني أعدى أعدائها، بل إنها تمتلك مزاجًا خاصًا لا يتوافق مع أي واحدة من أخواتها.

هي الآن في طريقها نحو الأمومة، وسوف تعلم أن بسمة طفلها لا تساوى بالدنيا، أتمنى أن تلين قليلًا ويتفتت الصخر، وإلا فإني أخشى أن تشرب من الكأس التي سقتني منها عندها ستندم ولات حين مندم(*)..

«أمك»

(*) مجلة «الدعوة».

أم محمد والثبات على الحق

انطلقت السيارة التي تحمل المعلمات مع سائقهنّ من مدينتهنّ قبل بزوغ نور الشمس حتى تصل المعلمات باكرًا إلى مدرستهن وكان ممّن في السيارة أخت تدعى أم محمد أخت صالحة تظهر عليها سمات الصلاح وكان عدد المعلمات في السيارة وهي من النوع الكبير تسع معلمات والأخت أم محمد عاشرتهنّ طلبت المعلمات من السائق أن يشغل لهنّ مسجل السيارة على أغنية يقطعن بها طول الطريق ومللـه وقالت أم محمد للسائق: اتق الله لا أريد أن أغضب الله.. فرد عليها أتريدينني أن أسمع لكي وأنت واحدة وأتجاهل التسعة فاستجاب لطلب المعلمات وشغّل المسجل فبدأت المعلمات يتمايلن طربًا في السيارة.

وفجأة وبين غفوة عين وانتباهتها غار الجبار في علاه وأمر بقبض الأرواح وفقد السائق السيطرة على السيارة واصطدم بسيارة شحن كبيرة فتمزقت السيارة شر تمزق وقد كان من شهد الحادث مجموعة من الأصدقاء وهم من نقل أحداث الحادث إلينا وقد قاموا بالمساعدة في الحادث ويقسمون بالله أن الحادث كان بشعًا حتى أنهم يرون رأس المعلمة في مكان وأنفها في مكان آخر والأشلاء متمزقة في كل مكان حتى أنهم فقدوا الأمل في إيجاد أحياء في الحادث وفجأة وجدوا سائق الحافلة وقد قلبت عليه السيارة على جهة من جسمه والدم يخرج من فاه وكأنه نافورة وحاولوا مساعدته وأيقنوا أنه ميت لا محالة فقال له أحدهم قل: لا إله إلا الله يا أخي فبكى - رحمه الله - وقال أرجوكم ابحثوا عن أخت طاهرة تدعى أم محمد وقولوا لها أن تسامحني لعلى الله أن يغفر لي. وقالوا له: أين هي؟ قال: والله لا أعلم وحدثهم عن ماحدث بينه وبين أم محمد والمعلمات في السيارة بنفس متقطع ويقول الأخ: وعندما بعدت عنه قليلًا

أخبروني الشباب أنه قد فارق الحياة وسيارة الإسعاف لم تصل بعد وقمت بالبحث عن أحياء فوجدت معلمة وهي في حالة مزرية جدًا من كسور وقد تمزقت ملابسها فغطيناها وقلت لها: يا أختي اصبري واستغفري الله فقالت بلهجتنا المحلية: (انقلع عني) وهي في هذه الحالة ولا حول ولا قوة إلا بالله فابتعدت عنها وأتى إليّ الشباب وأخبروني أنهم وجدوا معلمة ملقاة بعيدًا عن موقع الحادث وأتيت إليها والله ثم والله يا أخوتي وجدتها في حالة تختلف كليًا عن الأخريات وجدتها وقد لفت بعباءتها لفًّا ولا يرى منها شيئ وكأنها قد أنزلت في المكان بهدوء ولم تلقى بشدة قربت منها وأنا أتحسس جبهتها لأرى إن كانت باردة أم لا وقلت: اذكري الله يا أختي فبكت رحمها الله. وقالت: أبعد يدك عني لأنني ضعيفة تستبيح جسدي قلت: يا أختي ولكنك سوف تموتين قالت: الموت أحبُّ لي من أن أخون أبا محمد في بيته قلت لها: يا أختي أبشري بالخير – الله موجود – الله سيرحمك وما سمعت منها إلا قول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر وأغمي عليها وأتت سيارة الإسعاف وحملناها إليها ونحن نبكي من صبر الأخت وإيمانها بالله ولم نسمع منها في سيارة الإسعاف إلا قول: اللهم إنك تعلم أنني ضعيفة فارحمني وفي المستشفى أخبرنا الدكتور أنها تعاني من كسور في جميع جسدها وإن نجت فهو معجزة من الله وقالت لنا: أرجوكم من أستطاع منكم أن ينادي لي أبا محمد فليناديه وعلى الساعة التاسعة صباحًا أتى زوجها إلى المستشفى وهو يبكي ويقول: أين الطاهرة أين العفيفة أين القائمة.

فقمت أنا والإخوان بتهدئته وتصبيره وقال: يا إخوان والله إنكم لا تعرفونها والله إنها لا تنام حتى تقوم لله ما تشاء، فلله درها ودخل عليها فرأيت مشهدًا عظيمًا تتحرك له القلوب فنادته وقالت: اقترب يا أبا محمد وقرب وضمّها وضمّته ضمّة الحبيب لحبيبته وقال: أبشري فأنت على خير وقالت: أنا لا أخاف من الموت يا أبا محمد ولكن

أمانة عندك أن تخبر أولادي إن سألوا عني أنني في الجنة أنتظرهم إن شاء الله وسامحني يا أبا محمد، وأقسم بالله أنني لم أسمح لأحد أن يلمسني ولم أخونك فأرجوك لا تذهب وأنت غاضب مني ولا تحرمني من الجنة فبكت - رحمها الله - وبكى أبو محمد وضمّها وقال أبشري أنت العفيفة الطاهرة فقالت: يا لله عهدتك أولادي وأبا محمد فإني لا أملك من الدنيا أغلى منهم فبكت - رحمها الله - فقال لها زوجها: يا أم محمد الله يعلم أنك تصومين وتقومين وأشهد الله أنك نعم المرأة ونعم الزوجة فقالت: أقرء أولادي السلام فإنني والله بخير وإنني أرى أناس قد أقبلوا عليّ فلا تحرمني لذة الجنة يا أبا محمد فبكت بكاءًا عظيمًا ورددت: اللهم اغفر لي وارحمني يا ربي إنك تعلم أني ما خنت ولا عصيت فارحمني وعهدتك أولادي وزوجي وفاضت روحها وهي تردد: «لا إله إلا الله» فرحمك الله يا أم محمد. وختم لنا بما ختم لك به فأم محمد خرجت من الدنيا بلا إله إلا الله ونحن بما سنخرج وما هو حالنا عند قبض أرواحنا وما هو قولنا هل آخر قولنا «لا إله إلا الله» أم ترديد الأغاني أم ترديد الشتم لإخواننا المسلمين كما يحدث هنا من بعض المخالفين للمنهج هل تريد أن يختم لك بما ختم لأم محمد فما عليك سوى تقوى الله في السر والعلن والالتزام بالحجاب الشرعي يا أخواتي ليحفظنا الله كما حفظ أم محمد وأنعم عليها بالخاتمة الحسنة(*).

❀❀❀

(*) موقع «أنا المسلم».

التربية السيئة حصدها الندم

لا أعرف أين أذهب بوجهي في كل مرة تشكو إلي زوجة ابني حالها مع ابني عبد الرحمن الذي علمته وربيته وأنفقت عليه ولم أقصر بما أستطيع، لقد صارت رقبتي قصيرة واسود وجهي من سوء فعله!! ألهذا ربيته وعلمته؟!! هل قلت: إنني ربيته؟!! أعتقد أنه حان الوقت لأدقق في عباراتي جيدًا.. يجب أن أصارح نفسي بتقصيري في الاهتمام به، لقد أخفقت في تأديبه!! وربما أنني وقتها لم أفكر في عواقب عملي؟! إذ إنني تركت ثغرات كثيرة استطاع الشيطان أن ينفذ منها إلى قلب عبد الرحمن وعقله!!

في كل مرة تشكو إلي زوجته حالها معه، أعود للوراء لأتذكر تفاصيل دقيقة كانت تمر دون أن أعيرها اهتمامي. فمثلًا المصروف الذي كنت أمنحه عبد الرحمن حين كان شابًا صغيرًا لم أكن لأسأله عنه أين وضعه وفيم أنفقه؟ وما كنت أحسب المدة الزمنية التي يبقى معه المصروف خلالها، إن جلَّ شعوري ينصب على تعويض نفسي حياة الشقاء والفقر التي عشتها ببسط يدي لأبنائي وإغراقهم في الدلال!!

ولما بدأت مصاريف عبد الرحمن تزيد ما كنت لأحاول مراجعته في الأمر، بل ظننت هذا أمرًا طبيعيًا لشاب في مثل سنه يحتاج إلى المال ويجد عند والده حاجته، إنني حقًا لم أفكر في هذا بقدر تفكيري في الحرص على استثمار مالي وزيادة دخلي لأتمكن من الوفاء بمتطلبات الأبناء المستمرة.

وإن أنسى لا أنسى موقفي الباهت الضعيف من شرب عبد الرحمن للدخان حين أعلمتني والدته، إذ عددت ذلك موضة بين جيله وغدًا يكبر ويتركها!! فما دام يفعل ذلك في العلن!! فهو خير من أن يخفيه عنا!! ويبدو أن هذه الخطوة كانت الأولى في صعوده إلى الهاوية ولكنها مع الأسف لم تكن الأولى لصحوتي وانتباهي فما زلت أسير في الدرب أشيد البناء من الخارج وأهدم الأساس من الداخل وأنا لا أدري!!

بدأ عبد الرحمن يغوص في عوالم قاتمة دون أن أشعر!!. كان تصريح قيادة السيارات الذي استخرجته له تصريحًا لدخول حياة موحشة ومؤلمة، يأخذ السيارة في أي وقت ويذهب بها حيث شاء دون أن تعلم أمه بمكانه، إنها لا تعرف أحيانًا هل هو في غرفته أم خارج البيت!! حذرته ألا يأخذ السيارة إلا في أوقات معينة ولأغراض محددة ولكنه لا يحترم كلامي!! إنني لم أعلمه كيف ينبغي له أن يتعامل مع والده!! لم أتخذ في حياتي معه قرارًا صارمًا إزاء تميعه، ولم أطبق مرة واحدة عقوبة قاسية تجاهه، ألنت له القول، وأرخيت له الحبل، وجعلت ظهري له مهادًا، وجيبي مصرفًا عاملته بطريقة حضارية زائفة، ومنحته كامل الثقة، وعودته الجدال في كل شيء وألا يفعل إلا ما يقتنع به، تربية سيئة حصدتها ندمًا.

نسيت أن الشيطان ينتظر لحظة الانقضاض على فريسته ولا يغفل عنها، نسيت أن الشهوات تتنازعه وأن النفس الأمارة جولة قد يعقبها الانحراف والضياع إن هي انتصرت فيها يوم كبر واستوى على عوده أو هكذا بدا لي اشتريت له سيارة خاصة به ليشعر بالاستقلالية أكثر ويبني حياته ويعيش دقائق يومه كما يحلو له. ولأنني أب ديمقراطي!! فلم أعد أسأله عن روحاته وغدواته ولا عن سهراته وسفراته واتصالاته.. بل لم أحاسبه عليها.

ودخل الجامعة دفعًا وبالواسطة وبدأت أمواج السهر تجرفه بشدة وكثر خروجه من البيت أو إن شئت قل وجوده في البيت وتخلف عن محاضراته. لم تهزني تلك التغيرات وإن كنت أرقبها عن بعد، أوجه أحيانًا وألوم أحيانًا أخرى ولكنها صيحات خافتة في وادي سحيق ليس لها حتى الصدى؟!. فرطت كثيرًا إذ لم أحاول مرة واحدة التعرف على أصدقائه، نوعياتهم، ميولهم، وحتى أسمائهم، لم أسأله من يخالل؟ وأين يسهر؟ وماذا يفعل خارج البيت؟.

وحتى إذا طلب المزيد من المال بحجة أنه وأصدقاءه يتفاخرون بمستوى المطاعم التي يرتادونها ويدعون بعضهم للعشاء فيها أو أنه يحتاجه لتصوير وشراء الكتب المقروءة، لم أكن لأتأكد من صحة حديثه، بل أمنحه وبسخاء، أردت أن أكون أبًا مثاليًا وأن يشب ابني في رخاء وسعة وما المانع؟! والمال موجود وأنا قادر؟!.

ولكن وما أسوأ لكن حين تأتي بعد ندم طويل ملئ بالأحلام العذبة الجميلة.. ولكن صحوت على دوي انفجار شنيع وطرق قوي متتابع على مغاليق عقلي خلخل بنيانًا أقمته على شفا جرف هار فعراه وفضحه! تنبهت فإذا بابني عبد الرحمن مدمن مخدرات!! خطوات متداخلة ثقيلة، عقل حائر مضطرب، ووجدان عليل تائه ماذا أفعل؟!! حاولت ثنيه عما هو فيه، استجمعت قواي لأقول له لأول مرة وبصوت قوي: توقف.

تقدمت خطوتان للأمام، واستبشرت خيرًا ووجدت الحل في تزويجه بعد أن خسر الجامعة وكاد أن يخسر نفسه، أزوجه لأصرفه عن رفقاء العفن، بحثت له عن الشابة الطيبة التي تدفعه لطريق النور، ربما أني ظلمته وظلمتها!! اللهم اغفر لي وتجاوز عما لا أعلم.

لم يعد عبد الرحمن إلى رشده واستمر في تعاطيه وإن كان يراوح بين الإقلاع وبين الاستمرار أحيانًا ومع إطلالة أول مولودة أشرقت شمس النقاء في حياته، ولكنها لم تلبث أن غابت ثم أظلمت!! وكلما شكت لي زوجة ابني حاله عدت باللوم على نفسي وعجزي وتقصيري وودت أن الأرض ابتلعتني لكن هذا لا يجدي، لقد اتخذت قرارًا صائبًا إن شاء الله سيكون هو الأمل الوحيد بعد الله في شفاء ابني وتعافيه، سآخذه إلى المستشفى بنفسي لعلاجه من الإدمان لعلي أتدارك ما يمكن تداركه، اللهم اعف عني واشف ابني وارحم ضعف هذه المسكينة آمين(*).

«أبوك»

(*) مجلة «الدعوة».

عفوًا.. والدي العزيز.. لَنْ أسامحك..!

عندما كانت صغيرة.. كانت تُراقب والديها.. وتعاملهما مع بعضهما البعض.. كانت لا تفقهُ معنى إنشاء أسرة وتحمّل مسؤولية.. لَمْ تكن تعي.. مُعاركة السنين ومُجاراة الأنين.. لَمْ تكن تعي كُل هذهِ الأمور.. وإنّما كانت تحلم بأسرة صغيرة وأبناء تضمهُم إلى صدرها الدافئ.. وتُحيطهم بيديها الحانيتيّن.. تُلاعبهم.. تُقبلهم.. تُربيهم.. يُخالط جسدها أجسادهم.. تُرضعهم الحُب والحنان.. وحينما كَبرت.. أحسَّت باقتراب تحقق أحلامها.. حتى تخرّجت مِنْ الثانوية.. بتقدير عالٍ يُؤهلها لدخول الجامعة، فانهالت التبريكات عليها مِنْ كُل مكان.. أهلها.. أقرباؤها.. بنات عماتها وبنات خالاتها.. ومَضَتْ الأيام بسرعة مِثلما كانت تُريد نجلاء نعم.. إنها نجلاء تلك الفتاة التي لَمْ تتجاوز التاسعة عشر بعد.. فتاة جميلة.. خلوقة ومُؤدبة وملتزمة.. حرص أهلها على تربيتها وتعليمها.. مرّت الأيام كأنها برقٌ تتالى.. والله المُستعان.. حتى دَخَلتْ نجلاء إلى الجامعة.. وحَرصت على طلب العلم الشرعي.

مرّ اليوم الدراسي وكانت في أوجّ سعادتها.. برغمِ ما في هذا اليوم مِنْ رهبة،، كون الإنسان انتقل مِنْ عالم القيود..وتحرّر مِنْ الزى الموحّد.. ومِنْ الفسحة وانتظار جرس انتهاء الحصة المدرسية..إلى عالم مفتوح.. مُتحرر.. يعتمد الإنسان بهِ على نفسه.. ويحرص هو على دراسته ومستقبله.. فليس هُناك جرس يُنذر بانتهاء الحصة ولا يوجد طابور صباحي يُشعِر بالملل والكآبة،، وليست هُناك (حصة أولى)، التي لطالما سَمِعنا بها ولَمْ نكن نعلم ما يُقال بها مِنْ أثر النعاس.. نعود إلى نجلاء.. وكعادة الأسبوع الأول في الجامعة.. نرى عدم الالتزام في حضور الساعات الدراسية.. مُتعللين الطلبة بـ السحب والإضافة.. وما هي إلا حجج واهية.. من أجل استطالة الإجازة الصيفية.. ولكِنْ

نجلاء كانت حريصة على حضور الساعات الدراسية، برغم تغيّب بعض الدكاترة إلا إنها كانت ترقب بعينيها باب القاعة.. مُؤملة نفسها بدخول أستاذ المادة.. فبدأ الحماس ينطفئ قليلًا في قلبها.. فأخذت تتساءل في نفسها تُرى ما بهم لا أحد يحضر بينما هُناك قاعات قليلة جدًا قد بدأ الأستاذ بالشرح..وبينما كانت تتمشى في ممرات القاعات.. حتى رأت صديقتها أيام الثانوية.. فسلّمت عليها وتهلل وجهها مُستبشرًا، وتحدّثت معها.. عَنْ الجامعة وفي أي كلية.. وكيفيّه الساعات الدراسيّة.. والنظام.. فأخبرتها صديقتها التي سبقتها بعام واحد إلى الجامعة بكل شيء.. وساعدتها.. هُنا.

اطمأنت نجلاء وزال الخوف والتردد الذي بها.. ثم عادت إلى البيت.. وأَخبَرَتْ والدتها بما جرى وما رأت في الجامعة.. وأن الحياة مُختلفة تمامًا عن المدرسة.. وتوالت الأيام بجدٍ واجتهاد.. حتى حَصَلتْ نجلاء على أعلى الدرجات، وانتهت السنة الدراسيّة الأولى.. وبدأت نجلاء تشعر بالحاجة إلى الحُب والعطف.. لَمْ يكن والديها مُقصرين معها بما تُريد.. ولكِنْ كانت تفتقد إلى الحُب والكلمات.. حتى تمنّت لو أنها لَمْ تكبر.. لتغيّر مُعاملة والديها.. فقد أصبحوا مُنهمكين بتربية إخوانها الصغار.. وأهملوا حاجة نجلاء إلى الحُب والرعاية.. ظنّوا أن الإنسان حينما يكبر ويدخل إلى الجامعة.. قد يتجرّد مِنْ الإحساس.. ولم يعد بحاجة إلى كلمات الحُب والعطف أو إلى يدين حانيتين تمسح على رأسها حتى تنام.. لم تعد ترى نجلاء إقبال والدها عليها وتقبيلها ومُلاعبتها.. فأمها دائمًا مشغولة بأمور البيت والأبناء.. وبينما كانت تجلس على سريرها قد داعب النوم عينيها.. إذ بحلمها القديم بدأ يعود إليها.. وبدأت تتعطش إلى تحقيقه.. حِلمُ الزواج وتكوين أسرة.

وكانت تُردد: بنتم و بنّا فما ابتلت جوانحنا شوقًا إليكم و ما جفت مآقينا كانت تحلم برجل يأوي إليها وتأوي إليه.. رجل يُقاسمها همومها.. ويُشاركها أفراحها..

فبدأت تُفكّر تُرى مَنْ سيكون ومتى؟ حتى غالبها النُعاس.. فاستسلمت للنوم..لَمْ تكن نجلاء فتاة متهوّرة.. كباقي الفتيّات.. تبحثُ عَنْ قِصص العشق والهيام،، ولَمْ تكن تحلم بمغامرات عاطفيّة.. ورسائل غرامية.. أو نظرات مِنْ ابن الجيران.. فقد كانت فتاة مُحافظة تخافُ الله.. وتحضر الدروس والحلقات.. ولطالما رَسَمتْ صورة ذلك الزوج في بالها، وكانت تُريده مُستقيمًا.. يعينها وتُعينه على هذهِ الحياة..مرّت الأيام إذ بالخُطّاب بدءوا يطرقون بابهم.. مِنْ أبناء عمومتها وغيرهم.. وكان الوالد يرفض رفضًا قاطعًا دون مُشاورة نجلاء أو أمها.. فقد كان يُريدها أن تُتم الدراسة الجامعيّة.. ولَمْ تكن نجلاء تعلم بذلك.. حتى مرّت سنتان.

إذ كانت بأحد المجالس مع بنات عمها.. وهذهِ تتباهي بزوجها وتلك بخطيبها.. وتلك قد قاربت على الولادة.. وبقيت نجلاء صامتة مُوكلة أمرها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ولَمْ يكن يظهر عليها أي شيء، فقد كانت تُخفي في قلبها أحلامها وآمالها.. إذ بـ (مريم) ابنة عم نجلاء، تقول لها: نجلاء (يالله متى نفرح فيكي)، فأطرقت رأسها حياءً،، فقالت الأخرى: (نجلاء محد عاجبها)، فارتبكت نجلاء قليلًا ورفعت رأسها قالت: لِمَ؟ فقالت ابنة عمها: كل ما جاج أحد رفضتيه؟ فتعجّبت نجلاء جدًا، كيف ذلك؟ ومتى؟ ولكنها لم تنطق حرفًا واحدًا،، فقالت ابنة عمها: خطبكِ فلان وفلان وفلان، ولكنك رفضتي، والدك قال ذلك.. فأصيبت بصدمة،، ولكنها أخفت ذلك واستأذنتهم قليلًا وعادت لبيتها.. تتقلب الأفكار في رأسها.. يمنةً ويسرة.. والهواجيس تُخيفها.. تُرى لِمَ أبي وأمي لم يُخبراني.. أوليس مِنْ حقي أن أقرّر.. وأن أرفض أو أوافق..! دخلت البيت، إذ بأمها جالسة.. وكان يقتلها الحياء.. مِنْ مُصارحة والدتها.. فسلّمت على والدتها وتحدّثت معها قليلًا، ولكِنها لَمْ تخبرها بما سَمِعت مِنْ بنات عمها.. فصعدت إلى غرفتها وألقت بنفسها على وسادتها.. ثمّ استرجعت قواها وذكرَت ربها.. وصلّت ركعتين.. دعت ربها أن يرزقها الرجل الصالح،، وطردت تلك الأفكار والهواجيس من رأسها.

وقالت: لله الأمر من قبل ومن بعد، وما زلتُ في بداية عُمري..قارَبَتْ نجلاء على الانتهاء من المرحلة الجامعيّة ولم تتجاوز الثالثة والعشرين، وكُلّما رأت زميلاتها وبنات خالاتها وعماتها، تتزوّج الواحدة تلو الأخرى، تحزن في قلبها وتقول: متى سيأتي نصيبي.. أنا فتاة جميلة وجامعيّة وقبيلتي يُشار لها بالبنان، ما هي أسباب والدي لرفضه تزويجي،، كَمْ كانت تُفكّر كثيرًا، رغم أنها تحاول إبعاد هذا الأمر عن بالها، حتى تخرّجت مِنْ الجامعة،، وبدأ الخطاب يقلون،، لِما اشتهر عَنْ والدي في القبيلة وخارجها إنه يرفض تزويج بناتهِ،، حتى تجرأتُ وحادثتُ والدتي لِمَ يردُّ أبي الخُطاب عني،، ولكِني أحسستُ بتفاجئها قليلًا، فلم تكن تعلم أنني كبرت وأفكّر بالزواج حالي كحال أي فتاة تجاوزت العشرين،، فقد كانوا يظنون أنني لا زلت طفلة.. عجيب أمرهم،، أولم يعلموا أني قاربتُ على انتصاف العشرينيات؟ مرّت الأيام تلو الأيام،، إذ تقدّم إليّ شاب مُلتزم عُرِفَ عنهُ الخير والصلاح، فقد كان يدرسُ في كلية الشريعة وهو إمام ويُحضّر الماجستير حاليًا،، فَرِحتُ جدًا، واستبشرتُ خيرًا،، فقد أخبرتني أخته أنهم سيتقدمون لخطبتي.. ومَهَدتُ الأمر لوالدتي،، حتى جاء مع أهلهِ.. ولكِنْ كانت الصاعقة!! أبي رده دون أي مُبرّر، وكانت نجلاء قد تخرّجت أيضًا،، فلم تعُد هُناك أسباب لرفض والدها الزواج.. تقول نجلاء: أسرعتُ لغرفتي، أغلقتُ عليّ الباب، بكيتُ بقوة، تأملتُ جدًا.. إنهُ حلمي، لِمَ دمّروه، لِمَ حَرموني منه.. ارتفع نحيبها وبكاؤها.. ولكِنها أخفت ذلك بأنين يكادُ أن يُقطع أنفاسها وقلبها.. كفى لومًا أبي أنت الملامُ كفاك فلم يَعُدْ يُجدي المَلامُ.. بأي مواجعِ الآلام أشكو.. أبي من أين يُسعفني الكلامُ..! ودّت (نجلاء) لو أنها استطاعت أن تصرخ بأعلى صوتها،، وتقول لَنْ أسامحك يا أبي،، بنات عمّاتي وخالاتي، أصبحوا أمّهات، وخالات وعمّات، وأنا بين الجدران الأربعة، أحدّثها ليلًا ويرتد صدى صوتي إلي، لا زوج أتكلم معه، ولا خليل كباقي الفتيات،،

بكَت نجلاء كثيرًا واحتضنت وسادتها وذهبت في سُباتٍ عَمِيق،، علّ هـذا الـسُبات أن يُخفف وطأة الألم.. في صباح اليوم التالي.. استيقظت نجـلاء عـلى طـرق البـاب.. إنهـا أمها.. فتحت لها الباب وعادت إلى وسادتها تُريد أن تُخفي آثار البكاء والحزن عَنْ وجـه أمها، ولكِنْ أمها لاحظت ذلك،، فقد بدا وجه نجلاء الطفولي،، شـاحبًا مُـصفرًا يُلـف يُحيط السواد عيناها، فقالت لها أمها: نجلاء ما بكِ أخبريني يا حبيبتي، واحتضنت أمها وبدأت تبكي بحرقة وألم.

ولكِنها خشيت أن تُخبر أمها بأن بكاءها هو بسبب الزواج، فالفتاة حييّـة تـستحي من هذهِ الأمور،، إلا أن أمها أحسّت بها وقالت: أنتي حزينة لأن أبـوكِ رفـض فُـلان، قالت نجلاء وهي تكفكف دموعها: نعم، صويحباتي أمّهات، وأبي يرد الخطـاب عنـي، حتـى ذاع ذلـك بـين النـاس، فأصـبحوا لا يفكـرون بخطبتـي حتـى لا يحـرجهم أبي بالرفض،، أرجوكِ يا أمي، انـصحي أبي.. أطرقـت الأم رأسـها وقالـت: إن شـاءَ الله، كلمته كثيرًا ولكِنْ يقول: بنتي وأنا أدرى في مصلحتها، ولكِنْ لا عليـكِ يـا نجـلاء، إن الله يحبك ولن يضيعكِ.. بدأ الأمل ينبض في عروق نجلاء.. تجاوزت نجلاء الـسادسة والعشرون.. ولم يـأتِ لخطبتهـا أحـد،، وكانـت أسـئلة صـديقاتها تُؤلمهـا: نجـلاء لِمَ لم تتزوّجي بعد.. أنتِ جميلة وجامعيّة وذات دين وخُلق.

كانت نجلاء تبتسم بكل كبرياء وقوّة وتقول: قسمة ونصيب.. إنها تبتـسم نعـم، ولكِنْ بداخلها براكيـن مِنْ الألـم تكاد أن تتفجّر.. مرّت الأيام تلو الأيام، بدأت تفقـد نجلاء رونقها،، وبدأ جمالها يقل نسبيًا، فهي على أبواب الثلاثين،، أصبحت حياتها مملـة لا طعم لها، تذهب لعملها في المدرسة، ثم تعـود إلى البيـت، تبـدأ بتـصحيح مُـذكرات الطالبات وأوراق الاختبارات، ثم تجلس قليلًا مع أهلها، وتـذهب لتحـبس نفـسها في غرفتها، مأوى أحزانها وكبريائها، فرض عليها أبوها أن تبقى حبيسة الجـدران الأربـع،

بلا زوج، بلا أبناء،، تُساير ظلام الليل المُوحش ويُسايرها..تحُدّثني نجلاء، وشعرتُ مِنْ خلال حديثي الطويل معها، أنني أعرفها منذ زمن طويل،، كانت تتحدّث وعينيها تُخفي الألم الدفين، وقلبها أكادُ أن أسمع دقاته بكَت كثيرًا لَمْ تُستطع أن تُكمل حديثها إلا بصعوبة، حاولتُ أن أصبّرها وأذكّرها بالله،، قالت ونحيبها يُقطّع أنفاسها: عُذرًا.. والدي العزيز.. لَنْ أسامحك.

نجلاء ذات الثلاثين عامًا انهارت أحلامها.. وتلاشت ذكرياتها.. تبددّت آمالها.. أصبحت هزيلة.. شاحبة الوجه.. بدأ الشيب يخط أولى خطواته.. مُعلنًا عَنْ انتهاء الحياة في قلب نجلاء.. آآه كمْ أكرهك أيها الشيب.. هكذا قالت نجلاء.. بلا شعور.. ضممتها وهدأت مِنْ روعها.. بكت كثيرًا.. تركتها ترتاح.. واستأذنتها بكتابة قصتها ونشرها.. أطرقت رأسها.. و أرسلت إلي نظرات ملؤها الحسرة.. وقالت بصوت مُنكسّر: انشريها.. لا بأس.. أرجو أن يتعظ الآباء الذين يعضلون بناتهم.. ويخافون الله ويتقونه..خرجتُ مِنْ عندها.. وكادُ أن يتفطر قلبي مِنْ الألم عليها وعلى حالها.. دَعَوتُ الله أن يُلهمها الصبر، وأن يعينها على ما أصابها.. فتذكّرتُ ماقاله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «**مَنْ يُرد الله بهِ خيرًا يُصِب مِنهُ**»، أي: يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها..ارحموا بناتكم يا آباء.. ولا تعضلوهنَّ، فكم جرّ العضل مِنْ ويلات وفضائح، وكَمْ مِنْ فتاة قتلت نفسها ألمًا وحسرة، وكَمْ مِنْ فتاة زلت بها القدم بسبب رفض والدها تزويجها.. فأصبحت على جرفٍ هارٍ والله تعالى المُستعان(*).

(*) موقع «صيد الفوائد».

openkandil.com

الأم الصالحة

جاءت إليّ امرأة تجر خطاها تحمل على ذراعيها طفلًا قد أنهكه المرض.. أم قارب عمرها الأربعين.. قد ضمت الصغير إلى صدرها كأنه قطعة من جسدها كانت حالته حرجة تسمع تردد النفس في صدره من على بعد. سألتها: كم عمره؟ قالت: سنتان ونصف السنة.عملنا له الفحوصات اللازمة كان يعاني من مشاكل في شرايين القلب، أجرينا له العملية.. وبعد يومين من العملية كان ابنها في صحة جيدة..ابتهجت الأم وفرحت وصارت كلما رأتني سألتني: متى الخروج يا دكتور فلما كدت أكتب أمر الخروج.. فإذا بالصغير يصاب بنزيف حاد في الحنجرة أدى إلى توقف قلبه 45 دقيقة.غاب الصغير عن وعيه.. اجتمع الأطباء في غرفته ومضت الساعات ولم يستطيعوا إفاقته.. تسرع أحد الزملاء وقال لها: احتمال أن يكون ابنك قد مات دماغيًا وأظن أنه ليس له أمل في الحياة. التفت إليه لائمًا لم قال ذلك ونظرت إليها فو الله ما زادت على أن قالت: الشافي الله.. المعافي الله.

ثم تمتمت قائلة: أسأل الله إن كان الشفاء له خيرًا أن يشفيه..ثم سكتت ومضت إلى كرسي جلست عليه وأخذت مصحفها الصغير وجلست تقرأ فيه، خرج الأطباء وخرجت معهم صرت أمر على الصغير حالته لم تتغير جثة على السرير الأبيض. التفت إلى أمه حالها أيضًا لم يتغير يومًا أرها تقرأ عليه ويومًا تتلو القرآن ويومًا تدعو له. بعد أيام أخبرتني أحد الممرضات أن الصغير بدأ يتحرك حمدت الله وقلت لها: مباركًا أم ياسر، أبشرك ياسر بدأ يتحسن. قالت كلمة واحدة وهي تدافع عَبرتها: الحمد لله.. الحمد لله.مضت أربع وعشرون ساعة نفاجأ بالصغير يصاب بنزيف حاد مثل نزيفه الأول ويتوقف قلبه مرة أخرى ويتعب جسده الصغير ويفقد الحركة والإحساس،

دخل أحد الأطباء يعاين حالته فسمعته الأم يقول: وفاة دماغية، رددت: الحمد لله على كل حال الشافي ربي. بعد أيام شفي الصغير لكنه لم تمض ساعات حتى أصيب بنزيف في القلب ثم يفقد الحركة والإحساس.. ويفيق بعد أيام ثم يصاب بنزيف جديد.. حالة غريبة لم أر مثلها في حياتي، تكرر هذا النزيف ست مرات ولا تسمع منها إلا: الحمد لله.. الشافي ربي هو المعافى.

بعد فحوصات وعلاجات متعددة سيطر أطباء القصبة الهوائية على النزيف بعد ستة أسابيع بدأ ياسر يتحرك وفجأة إذا به يبتلى بخرّاج كبير (ورم).. والتهاب في الدماغ، عاينت حالته بنفسي قلت لها: ابنك وضعه حرج جدًا.. وحالته خطيرة.رددت: الشافي هو الله وانصرفت تقرأ عليه القرآن، زال هذا الخرّاج بعد أسبوعين.. مضى يومان تماثل الغلام أثناءها للشفاء، حمدنا الله تعالى على ذلك. بدأت الأم تهيئ نفسها للخروج، وبعد ثلاثة أيام إذا به يصاب بتوقف والتهاب حاد بالكلى أدى إلى فشل كلوي حاد كاد أن يميته والأم مازالت متماسكة متوكلة منطرحة على ربها وتردد: الشافي هو الله، ثم تذهب وتقرأ من مصحفها عليه..مضت الأيام ونحن في محاولات وعلاجات متتابعة لا تتوقف استمرت أكثر من ثلاثة أشهر.. تحسنت كلاه ولله الحمد، لكن بعد عدة أسابيع يصاب الصغير بمرض عجيب لم أره في حياتي يصاب بالتهاب في الغشاء البلوري المحيط بالقلب مما اضطرنا إلى فتح القفص الصدري وتركه مفتوحًا ليخرج الصديد وأمه تنظر إليه وتردد: أسأل الله أن يشفيه.. هو الشافي المعافي.

ثم تنصرف عنه إلى كرسيها تفتح مصحفها وتقرأ.كنت أنظر إليها أحيانًا ومصحفها بين يديها لا تلتفت إلى ما حولها وأدخل غرفة الإنعاش فأرى أنواع المرضى ومرافقيهم.. أرى مرضى يصرخون وآخرين يتأوهون.. ومرافقين يبكون.. وآخرين يجرون وراء الأطباء.. وهي على كرسيها ومصحفها لا تلتفت إلى صارخ ولا تقوم إلى طبيب ولا تتحدث مع أحد، كنت أشعر أنها جبل..بعد ستة أشهر في الإنعاش كنت

أمر بالصغير فأراه لا يرى ولا يتكلم ولا يتحرك.. صدره مفتوح..ظننا أن هذه نهايته وخاتمته والمرأة كما هي تقرأ صابرة لم تشتك ولم تتضجر والله ما كلمتني بكلمة واحدة ولا سألتني عن حالة ولدها إلا إن ابتدأت أنا أحدثها عنه وكان زوجها قد جاوز عمره الأربعين يقابلني أحيانًا عند ولده فإذا التفت إلي ليسألني غمزت الأم يده وهدأته ورفعت من معنوياته وذكرته بأن الشافي الله. بعد شهرين تحسنت حالته فحولناه لقسم الأطفال في المستشفى مارسوا معه أنواعًا من العلاجات والتدريبات وبعدها خرج الطفل إلى بيته ماشيًا يرى ويتكلم كأنه لم يصبه شيء من قبل.العجيب بعد سنة ونصف السنة كنت في عيادتي فإذا بزوج المرأة يدخل عليّ وتدخل زوجته وراءه تحمل بين يديها طفلًا صغيرًا وكان للطفل مراجعة عادية عند أحد الزملاء لكنهم جاءوني للسلام عليّ. قلت للزوج: ما شاء الله هذا الرضيع رقمه ستة أو سبعة في العائلة؟.

فقال: هذا هو الثاني والولد الأول هو الذي عالجته العام الماضي وهو أول مولود لنا جاءنا بعد سبعة عشر عامًا من الزواج والعلاج من العقم. خفضت رأسي وأنا أتذكر صورتها عند الولد لم أسمع لها صوتًا ولم أر منها جزعًا. فقلت في نفسي: سبحان الله! بعد سبعة عشر سنة من الصبر وأنواع العلاج من العقم ترزق بولد تراه يموت أمامها مرات ومرات وهي لا تعرف إلا «لا إله إلا الله».. الله الشافي، أي امرأة هذه! أخذت الرجل في غرفة أخرى وقلت له: زوجتك هذه ما رأيت مثل صبرها أخبرني ماذا تصنع؟ فقال لي: يا دكتور أنا متزوجها منذُ عشرين سنة ما رأيتها تركت قيام الليل إلا من عذر شرعي، من عشرين سنة ما سمعتها تغتاب أحدًا، من عشرين سنة عند خروجي للعمل تقبلني وتدعو لي، وعند رجوعي تقبلني وتدعو لي، ووالله يا دكتور إني لأستحي منها وأحترمها وأقدرها(*).

(*) موقع «أنا المسلم»، نقلًا من الدكتور/ خالد الجبير.

لا أستطيع أن أسامحك يا أبي...!!

هل من العقوق في شيء ألا أسامح والدي على خطأ ارتكبه في حقي.. خطأ دفعت ثمنه باهظًا من سعادتي وراحتي؟

قد يقول البعض: نعم إن هذا من العقوق! ولكني أقول: كلا فأنا أملك كامل الحق في أن أقول: لا بملء في لمن لا أريده، وقد أعطاني الإسلام حرية اختيار شريك حياتي بأن أُستأذن، ولن يعيب علي أحد ذلك لأنه لم يعب أحد على تلك المرأة في عهد رسول الله ﷺ التي أرادت ألا تجيز والدها على عمله؟!!

منذ أكثر من عشرين عامًا تقدم لخطبتي أبو طلال فرفضت بدون تفكير فليس فيه ما يغري فتاة صغيرة مثلي فهو يكبرني بثلاثين عامًا تقريبًا ولا يملك مالًا ولا جاهًا، في ذلك العام كنت قد جاوزت السادسة عشرة بقليل وكنت أدرس في الصف الخامس الابتدائي وكانت لي تطلعات وطموحات لم يكن الزواج من أبو طلال أو من على شاكلته واحدًا منها.

حيث أعلمت والدتي والدي برفضي لهذا العرض فاجأها بقوله: أنا لا أسألها رأيها ولكني أُعْلمها ذهلت للجواب، هل يعني هذا أن والدي أعطى الرجل كلمة؟! هذا ما كان لقد أعطيت الرجل كلمة ولن أتراجع عنها قال والدي ذلك ثم أردف: لو كان في ابنتك خير لما فكرت في أن تكسر كلام والدها... بكيت كثيرًا وحاولت أن أصر على رأيي ولكني لم أكن من بنات هذا الزمن لا يستطيع أحد أن يجبرهن على فعل شيء لم يقتنعن به، بل كنت من جيل لا تستطيع الواحدة منا أن ترفع رأسها حياءً حين يحدثها والدها، لذا سلمت أمري إلى الله ووافقت على مضض أعني أنني لم أوافق ولم أعارض فليس لي خيار في ذلك.

وفي ثوب مطرز لطالما حلمت به زففت إلى أبو طلال بين دموع الفراق ودموع الحسرة، مما أفقدني لذة الفرح بثوبي المطرز.

ومنذ أن وطأت قدمي عتبة بابه وأنا أشعر بمرارة قاتلة تغري كبدي بصراحة لم أستطع أن أحبه ولكني في محاولة مني لتقبل الوضع الجديد حاولت أن أرضى بواقعي وأن أعيشه بحلوه ومره، فأنا الآن زوجة ومسئولة، دست على كل تلك المشاعر المضطرمة في داخلي وحاولت بكل السبل أن أحيا حياة هانئة أو على الأقل هادئة، ولكني عجزت واستسلمت لأحاسيسي الحقيقية التي كانت كالنار تشتعل في جوفي وتلهب وجداني، أحسست كأنني بين قرصي الرحى تطحنني الأيام وتذروني الرياح.

وذات يوم انفجرت باكية أبت براكين القهر إلا أن تثور وطلبت من زوجي أن يأخذني إلى أهلي، وكانت هذه بداية للنهاية، ليست بداية لنهاية عذابي معه، بل بداية لنهاية وجودي فأنا شيء من هذا الجسد الذي هو زوجي ولابد أن أظل ملتصقة به، ومن بين الدموع والنشيج أفهمت والدتي الوضع وشرحت لها المعاناة فنقلت الصورة لوالدي الذي استشاط غضبًا (ما عندنا بنات تطلق) أخذني وأرجعني إلى بيت زوجي.

وكانت نفسي قد عافت كل شيء، عشت جسدًا بلا روح، أنكرت أن لي قلبًا يشعر ويحب ويكره، هربت إلى بيت والدي كثيرًا حاولت واستمتَّ في محاولة الانفكاك من هذا الرجل الذي لم أستطع حتى استيعاب أنه زوجي ولكن دون جدوى. تحت لهيب الشمس الحارق وفي تلك الأزقة الضيقة القديمة كانت فتاة نحيلة تنهب الأرض ذهابًا إلى بيت والدها... تسير وتتلفت وتتعثر كأنما يلاحقها أحد... إن خطواتها محفورة في تربة ذلك الزقاق لكثرة ما وطئته. كنت تلك الفتاة، كنت أهرب إلى بيت والدي كلما تداعت علي الهموم، أفر في عز الظهيرة أو في حالك الليل أو عند بوادر الفجر لا فرق فالزمن بات واحدًا من الرمضاء بالنار، فوالدي يرجعني إلى بيت زوجي تحت لهيب

السوط والعقال وتوبيخات لوالدتي، وماذا تملك أمي سوى الكلام إنها مثلي تمامًا ليس لها خيار في شيء. ضربني أبي وحرمني من التعليم نهائيًا، طلب ملفي من المدرسة ثم مزقه إربًا ورماه في وجهي سحبني من ذراعي حتى كادت تنكسر ورماني في بيت زوجي كالـ(.....) هددني بالقتل إن عدت إلى هذا الجنون مرة أخرى... وتوعدني بأن يكون بيته قبرًا لي لو أرغمت زوجي على تطليقي!! ووالدي صادق دائمًا...!! فكأنني كنت عبئًا ثقيلًا انزاح عن كاهله أو همًا مقيمًا فرَّجه الله!! استسلمت مكرهة وعشت مع زوجي تحت سقف واحد، لم أستطع أن أحبه، ولم أهبه قلبي وعواطفي فمشاعر الحب الدافقة ظلت رهينة القلب لم تنبع لأحد حتى كادت أن تجف.

مللت من الحياة في هذا الأسر، كرهت بيتي فكل يوم يزداد شحوبه... ثلاث سنوات انقضت كأنها عمر بأكمله لم يتغير فيها شيء سوى أن الجرح ما زال يتعب والألم يزداد. أنجبت طفلي الأول ثم الثاني فكانوا هم السبب الوحيد الذي أشعل في جوانحي وقود الصبر، لأجلهم أصبر على هذا الزواج التعيس ومن أجلهم أتحمل كل شاق ومؤلم، وحتى يحيوا سعداء فإني سأفجر لهم ينابيع الحب التي كادت أن تندثر تحت ركام سنين القهر والأسى.

لقد سلبت مني السعادة وحرمت الحب بسبب والدي، إنني لا أستطيع أن أجعل قلبي صافيًا تجاهه، فهل عليَّ ملام(*)؟!!

«ابنتك»

(*) مجلة «الدعوة».

الحب الحقيقي

جمع حب بين زوجين في عرس جميل متواضع اجتمع الأهل والأصحاب للتهنئة، وبعد مرور ثلاث سنوات على زواجهم لم يرزقا بطفل وبدءا يواجهان الضغوط من أهاليهم في مسألة الإنجاب، لأن الآخرين ممن تزوجوا معهم في ذلك التاريخ أصبح لديهم طفل أو اثنان وهم مازالوا كما هم، وأخذت الزوجة تلح على زوجها أن يكشفوا عند الطبيب علَّ وعسى أن يكون أمر بسيط ينتهي بعلاج أو توجيهات طبية،... وهنا وقع ما لم يكن بالحسبان حيث اكتشفوا أن الزوجة (عقيم). وبدأت التلميحات من أهل صاحبنا تكثر والغمز واللمز يزداد، إلى أن صارحته والدته وطلبت منه أن يتزوج بثانية، ويطلق زوجته أو يبقيها على ذمته بغرض الإنجاب من أخرى، فطفح كيل صاحبنا الذي جمع أهله وقال لهم بلهجة الواثق من نفسه: تظنون أن زوجتي عقيم؟! ترى العقم الحقيقي ما يتعلق بالإنجاب، أشوفه أنا في المشاعر الصادقة والحب الطاهر العفيف ومن ناحيتي - ولله الحمد - تنجب لي زوجتي في اليوم الواحد أكثر من مائة مولود وراضي بها وهي راضية بي ولا عاد تجيبون لها الموضوع البايخ هذا أبدًا، وأصبح العقم الذي كانوا يتوقعون وقوع فراقهم به، سببًا اكتشفت به الزوجة مدى التضحية والحب الذي يكنه صاحبنا لها.

وبعد مرور أكثر من تسع سنوات قضاها الزوجين على أروع ما يكون من الحب والرومانسية بدأت تهاجم الزوجة أعراض مرض غريبة اضطرتهم إلى الكشف عليها بقلق في أحد المستشفيات، الذي حولهم إلى (مستشفى الملك فيصل التخصصي) وهنا زاد القلق لمعرفة الزوج وعلمه أن المحولين إلى هذا المستشفى عادة ما يكونون مصابين بأمراض خطيرة وبعد تشخيص الحالة وإجراء اللازم من تحاليل وكشف طبي. صارح

الأطباء زوجها بأنها مريضة بداء عضال حجم المصابين به معدود على الأصابع في الشرق الأوسط، وأنها لن تعيش كحد أقصى أكثر من خمس سنوات بأي حال من الأحوال والأعمار بيد الله ولكن الذي يزيد الألم والحسرة أن حالتها ستسوء في كل سنه أكثر من سابقتها، وأن الأفضل إبقاءها في المستشفى لتلقى الرعاية الطبية اللازمة إلى أن يأخذ الله أمانته ولم يخضع الزوج لصدمة الأطباء ورفض إبقاءها لديهم وقاوم أعصابه كي لا تنهار وعزم على تجهيز شقته بالمعدات الطبية اللازمة لتهيئة الجو المناسب كي تتلقى زوجته به الرعاية.. فابتاع ما تجاوزت قيمته ال (٢٦٠,٠٠٠ ريال) من أجهزة ومعدات طبية، جهز بها شقته لتستقبل زوجته بعد الخروج من المستشفى وكان أغلب المبلغ المذكور قد تدينه بالإضافة إلى سلفة اقترضها من البنك.. واستقدم لزوجته ممرضة متفرغة كي تعاونه في القيام على حالتها وتقدم بطلب لإدارته ليأخذ إجازة من دون راتب، ولكن مديره رفض لعلمه بمقدار الديون التي تكبدها، فهو في أشد الحاجة لكل ريال من الراتب، فكان أثناء دوامه يكلفه بأشياء بسيطة ما أن ينتهي منها حتى يأذن له رئيسه بالخروج، وكان أحيانًا لا يتجاوز وجوده في العمل الساعتين ويقضي باقي ساعات يومه عند زوجته يلقمها الطعام بيده، ويضمها إلى صدره ويحكي لها القصص والروايات ليسليها وكلما تقدمت الأيام زادت الآلام، والزوج يحاول جاهدًا التخفيف عنها وكانت قد أعطت ممرضتها صندوقًا صغيرًا طلبت منها الحفاظ عليه وعدم تقديمه لأي كائن كان إلا لزوجها إذا وافتها المنية.

وفي يوم الاثنين مساء بعد صلاة العشاء كان الجو ممطرًا وصوت زخات المطر حين ترتطم بنوافذ الغرفة يرقص له القلب فرحًا... أخذ صاحبنا ينشد الشعر على حبيبته ويتغزل في عينيها، فنظرت له نظرة المودع وهي مبتسمة له... فنزلت الدمعة من عينه لإدراكه بحلول ساعة الصفر... وشهقت بعد ابتسامتها شهقة خرجت معها

روحها وكادت تأخذ من هول الموقف روح زوجها معها ولكن بعد الصلاة عليها ودفنها بيومين جاءت الممرضة وقدمت له صندوقًا صغيرًا قالت له بأن زوجته طلبت منها تقديمه له بعد أن يتوفاها الله..

فماذا وجد بالصندوق؟ زجاجة عطر فارغة، وهي أول هدية قدمها لها بعد الزواج...وصورة لهما في ليلة زفافهما وكلمة (أحبك في الله) منقوشة على قطعة مستطيلة من الفضة، وأعظم أنواع الحب هو الذي يكون في الله ورسالة قصيرة سأنقلها كما جاء في نصها تقربًا مع مراعاة حذف الأسماء واستبدالها بصلة القرابة.

الرسالة: «لا تحزن على فراقي فو الله لو كتب لي عمر ثان لاخترت أن أبدأه معك ولكن أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد. أخي فلان: كنت أتمنى أن أراك عريسًا قبل وفاتي.. أختي فلانة: لا تقسي على أبنائك بضربهم فهم أحباب الله، ولا يحس بالنعمة غير فاقدها. عمتي فلانة (أم زوجها) أحسنتي التصرف حين طلبتي من ابنك أن يتزوج من غيري، لأنه جدير بمن يحمل اسمه من صالح الذرية بإذن الله. كلمتي الأخيرة لك يا زوجي الحبيب أن تتزوج بعد وفاتي حيث لم يبقَ لك عذر، وأرجو أن تسمى أول بناتك باسمي، واعلم أني سأغار من زوجتك الجديدة حتى وأنا في قبري.. اللهم إنك تعلم أن هذه القلوب قد اجتمعت علي محبتك و التقت علي طاعتك و توحدت على دعوتك. فوثق اللهم رابطتها وأدم ودها واهدها سبلها واشرح صدورها بفيض الإيمان بك وجميل التوكل عليك وأحيها بمعرفتك وأمتها على الشهادة في سبيلك.إنك نعم المولى و نعم النصير»(*).

(*) موقع «أنا المسلم».

سعيدة بالتلصص على الآخرين

مسكينة تلك التي يشغل جل تفكيرها ما يحدث في بيوت الآخرين، فتراها توظف الأطفال لالتقاط الأخبار، وتسعى جاهدة للتحقيق معهم بشتى الطرق المباشرة والملتوية! وهى تعلم يقينًا أن هؤلاء الأطفال يحملون الطهر والنقاء في قلوبهم فلا يتبادر إلى أذهانهم مثلًا أن هذا الحديث ليس الغرض منه مداعبتهم ومشاركتهم!! بل تجدهم يتجاوبون بكل براءة مع كل ما يسألون عنه.

إن هذه الفئة من أشد الناس حرصًا على كتم أخبارها السارة والمحزنة، بل العادية أيضًا بقدر حرصها على معرفة ما يدور خلف أبواب الآخرين وما هي تفاصيل حياتهم.

إن أخت زوجي واحدة من هؤلاء النساء اللاتي أشغلن أنفسهن بالتلصص على البيوت وكشف الأستار. فما الذي تروم اكتشافه حين تسأل بناتي الصغيرات عن المكان الذي ذهبت إليه أين أمك؟ لا أدري!! ذهبت إلى السوق؟! يمكن ما أعرف وتذهب في سؤالها بعيدًا حين تدقق في الأسئلة أكثر وتحاول انتزاع الإجابات من أفواههن!!

وهي لا تكتفي بهذا، بل تدخل معهن في حوارات طويلة لتعرف من الذي زارنا هذا الأسبوع وإلى أين ذهبنا، وهي تغلف كل أسئلتها بشيء من الفكاهة والمرح لتتمكن من جذب قلوب هؤلاء الصغار، وهذا ما استطعت استنباطه من شدة ولعهم بها وبأسئلتها حين يحدثونني عنها قلنا لعمتي جواهر، وسألتنا عمتي جواهر.

سألتهم ذات مرة: لماذا لم نحضر زواج إحدى قريباتنا؟ أكيد لا تعرفون كيف ترقصون!! قالت رغدة بعفوية: لا ولكن ما عندنا فساتين جديدة، وقالت شمس: والدي رفض، وحين عدنا إلى البيت جاءتني رغدة مستفسرة عن الجواب الصحيح هل هو جوابها أم جواب شمس!!

أحاول دائمًا أن أفهم أبنائي أن لكل بيت خصوصياته التي يجب ألا يطلع عليها

أحد غير أهله، ولا يعرفها أحد سواهم، وأن هناك أمورًا من الأفضل أن نخفيها عن الآخرين وأشياء يجب ألا يعرفوها كلها لأننا لن نستطيع دائمًا أن نوجد المبررات لتصرفاتنا، وأن هناك نوعًا من العلاقات تحكمها ظروف معينة لا يستطيعون في هذه السن إدراكها، ولو أسهبت في شرحها لربما فهموها بشكل خاطئ.

أنا أحب عماتكم كما أحب صديقاتي ولكنني لا أستطيع أن أتحدث إليهن بكل شيء يخص حياتي، ولا بكل شيء يحدث في بيتي لأنهم لن يستفيدوا كثيرًا من معرفة ذلك وربما لن يفهموا لماذا حدث، هل فهمتم؟.

إنهم ما زالوا صغارًا واستغلال الصغار بهذا الأسلوب المشين قبح ودناءة. سألتني ابنتي ذات يوم: ماذا أهديت لأخي وعروسه؟ فقلت لها: لماذا هذا السؤال الآن؟ قالت: إن عمتي وعدتني إن عرفت أن تعطيني شوكولاته.

ولماذا تودين أن تعرفي، وما هي الفائدة التي تعود عليك إذا عرفت؟ وماذا تتوقعين أن تغرسي في نفوس الصغار بهذه الطريقة؟

تعلمينهم التجسس وتتبع الأخبار؟ تعودينهم أن يشنفوا آذانهم عند كل خبر ويفتحوا عيونهم لكل حدث؟ ما أتعس أبناءك إن ربَّيتيهم على هذا الطبع القبيح، إنهم لن ينجزوا شيئًا ولن يبدعوا في حياتهم أبدًا لأنهم سيكتفون بالاستماتة في سبيل الحصول على خبر جديد يزفونه إلى أمهم لترضى عنهم.

ما زلت إلى الآن أحفظ لساني من الوقوع في سبك والتشنيع عليك أمام أبنائي، لأنني ما زلت أحفظ لك من الود شيئًا قليلًا، فلا تدفعيني لشن الحرب عليك ومعاملتك بالمثل، أنا أعلم حرصك على بقاء علاقتنا سليمة وقائمة... برأيك أنك لا تَسْعين لسؤالي مباشرة خوفًا من أن يكون في هذا حرج لي أو إساءة لك وأعلم حرصك أيضًا على بناء سياج منيع حول نفسك فلا يستطيع أحد اجتيازه أو تسلله وترين احترامي لهذا، فأنا لم أسألك مرة واحدة عن سبب تأخر حملك هذه المرة، ولم أسأل

خالتي أيضًا، ولم أحاول معرفة سبب تركك للمدرسة التي تدرسين فيها مع أن مديرتها ابنة خالك!! ولم.. ولم أفكر في البحث والتنقيب في ثنايا حياتك مع أن فيها الكثير من علامات الاستفهام!!.

أفلا ترين أنه من باب الأدب لا يليق بك مثل هذا الفعل؟ تسألين الأولاد هل نذهب للعشاء في المطاعم؟ أم نحضر ما نشتهي إلى البيت؟ هل نذهب إلى أهلي مرة أم مرتين في الأسبوع؟ وإذا بقينا عندهم عدة أيام تسألينهم ماذا قلنا فيها؟ وأين ذهبنا؟ ومن الذي جاءنا؟ وإن سافرنا تسألينهم هل الهدايا التي أحضرناها غالية أم رخيصة؟ وماذا قدمت لأمي وأختي؟ وأسئلة كثيرة تنبش في كل ذرة من حياتنا وكأني بك تفرحين حين تسمعين بطرف خلاف بيني وبين زوجي؟ أو تستائين حين يصل إلى مسامعك أخبار رحلة قضيناها في أي مكان.

أخاطبك بلفظ الأخت لأنك مثل أختي وأستثير فيك إيمانك بأن هذا العمل قبيح وسيئ، ولا يعود عليك إلا بالحسرات، تشغلين قلبك بتتبع أخبار إخوانك وزوجاتهم وأقاربك، أراك لا تتورعين عن سؤال بعض أطفالهم عن شيء من خصوصياتهم، وتعملين فكرك في تحليل ما يصلك من أحداث ليجمعوا لك ما تريدين من أخبار وكأن الدنيا ما جُعلت إلا لهذا. هل تدركين معنى حديث رسول الله: «**من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته وفضحه في جوف بيته**» أو كما قال. فهل تتلذذين بمآسي الناس؟

هل يصيبك عسر هضم حين لا تظفرين بخبر ولا تعرفين ما وراء الحدث؟ إن حياتك إذن تعيسة وعيشتك قلقة، أسأل الله لك القدرة على التغيير إلى الأفضل واسلمي(*).

«زوجة أخيك»

(*) مجلة «الدعوة».

لسانك سيوردك المهالك!!

هل جمعك المجلس يومًا بإحدى اللاتي لا يقمن للكلام وزنًا. ترمي الكلمات كالقنابل تحرق وتدمر وتتلف؟ هل ساءك وجودها؟ هل تمنيت أن تصمت؟ إذن كيف لو كانت هذه المتحدثة المنفلتة هي أخص قريباتك؟ لكنت تعيشين عذاب اللحظة في كل وقت يجمعك بها وستجلسين معها في قلق من أن يفلت لسانها بكلمة جارحة أو مؤذية أو غير لائقة أو ليس لها معنى أو تخص أحدًا تربطك به علاقة من نوع خاص؟

إن نورة زوجة أخي - هداها الله - لا تَزِن كلماتها ولا تعرف للكلمة وقتًا، فللكلام أوقات ينبغي أن يقال فيها، وأوقات يجب أن يحبس فيها، وأوقات حسبما تترجح المصلحة، ثم إنها لا تبالي في أي حال تتكلم، أحيانًا في وجود أناس غرباء عنا، أو نجتمع معهم للمرة الأولى أو تربطنا بهم علاقة رسمية، أو في حال وجود خلافات مترسبة قد يدفعها الكلام المجنون للظهور على السطح!! لا يهم كل هذا، المهم عندها أنها كلمة تتأرجح على طرف لسانها تود التخلص منها والمشاركة بها في أحاديث مع الأخريات.

ذات مرة قالت لإحدى الحاضرات التي كانت تحب التميز والظهور في شكلها: أكيد اشتريت فستانك من سوق الـ.... لقد هممت بشرائه لأنه رخيص!! ولكن لم أجد اللون المناسب، قالت هذا الكلام في مجلس يفصل بينهما فيه مسافة بعرض الغرفة التي جمعتهما وهي خمسة أمتار.

وفي أحد اجتماعات العائلة الشهرية كانت الحاضرات يهنئن هدى إحدى قريباتها بالمسكن الجديد ويتبارين كعادة النساء في طرح الأسئلة المعتادة عن ألوان الأثاث والمحلات التي اشترت منها وغيرها فأثنت زوجة أخيها على ذوقها الرفيع في اختيار غرفة النوم وتأثيثها الجميل فألقت زوجة أخي سؤالًا أبله بذر نبتة شقاق بينها وبينهن:

سمعت أنك أنت التي دفعت نصف قيمة غرفة النوم بقيمة بعض الحلي التي بعتيها لقد تغير وجه هدى وأمها وزوجة أخيها فليس هذا بالكلام السهل في وسط يرى ذلك عيبًا خاصة وأن المجلس يغص بالنساء وفيهن الغريبات، ثم إن هذا من خصوصيات حياتها – لقد حصلت زوجة أخي على هذه المعلومة القيمة عن طريق قريبتها التي تدرس في نفس المدرسة التي تدرس فيها أخت سارة.

هل انتفخ وجهها حين رأت أثر ذلك في وجوههن؟؟ بل استمرت في طرح أسئلتها الثقيلة دون حياء. ولأن نورة منا وفينا يعني من أقاربنا لذا تزداد المواقف حرجًا فحين لم يدع أهلها إلى زواج بعض الأقارب لأسباب خاصة بهم لم تخف امتعاضها من هذا، بل بادرت من سألها عن أهلها بجواب ليس فيه تروٍّ: اسألي آل فلان ليس فيهم خير، لم يرسلوا لأهلي بطاقات، وفي نفس الليلة سألتها امرأة كبيرة في السن عن عدم حضورها مناسبة معينة قبل أسبوعين فقالت: لم يخبرني عنها أحد، ذهبوا ولم يعلموني.

من تعني بأحد (هذه) إنها أمي بالتأكيد، الداعية كانت خالتي واكتفت أمي بإخبار أخواتي ليخبروا أزواجهن فإن كان زوجها ينسى أو لم يرغب في ذهابها أصلًا لذا لم يخبرها فما ذنب والدتي، ولكن هل سنشرح هذا الموقف لكل الناس الذين يسمعون جوابها.

لقد فكرت في محادثتها وإيضاح شناعة فعلها وأنها تسبب ضيقًا وحرجًا للكثيرات دون أن تدري بإلقائها الكلام على عواهنه دون ترتيب ولا تمحيص، ولكن لما سمعت والدتها ذات مرة تسب أبناءها الذين هم أبناء أخي في وجودها دون مراعاة لأدنى أصول الذوق أدركت أن هذا الطبع المشين متأصل ومتوارث في العائلة اللهم لا شماتة.

أحيانًا أقول: ليتها لم تحضر وإن حضرت أقول: ليتها تصمت، ولكن ما حيلة المضطر إلا الصبر فليس من الأدب أن أقعد لها بالمرصاد وأتلقط سقطاتها، وليس من المستحسن في عرف الناس أن أتولى تبرير كل كلامها وتفسيره على الوجه المرضي بل

إنني لو حاولت فلن أستطيع أن أجد لبعضه مصرفًا من مثل قولها لخالتي الشابة: إنها وزوجها - يعني أخي - يتحدثان عن جمال شعرها وطوله، فقال أخي: ما أسعد زوج خالتي بها وبشعرها!! لقد مادت الأرض تحت قدمي واحمر وجهي خجلًا وأطرقت خالتي الخجولة إلى الأرض حياءً وهي تبتسم بكل ثقة.

لا أعلم إلى أي مدى يذهب بها قولها ألا تشعر بأنها في كل يوم تخسر واحدة، وأن غالبيتهن صرن يتحاشين الجلوس بجانبها أو محادثتها لأن الكل يخشى أن تخطئ في حقه أو تفضحه أو تحرجه؟ لأنها اعتادت أن تعج من فمها ما لا تفكر في عاقبته.

زوجة أخي الكريم: أنسيتِ أن عليك كرامًا كاتبين، وأنه لا ينبغي لك أن تتفوهي بكلمة ضائعة ليس لها هدف أو تتكلمي بما لا يعود عليك بالربح والزيادة في دينك، وأنه ينبغي أن يكون حديثك من باب المباسطة مع الغير والتودد لهم وتأليف قلوبهم وجمع شملهم، أما هذا الحديث الذي لا يسمن ولا يغني من جوع والذي يوقع الآخرين في الحرج أو الكذب فهو مذموم، فمن عدَّ كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

فاحرصي - رعاك الله - على ما ينفعك واستعيني بالله ولا تعجزي فإن عجزت فأمسكي عليك لسانك وليسعك بيتك(*).

«أخت زوجك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

بل أنت ملكة الأمهات

اختارتها المدرسة الأم المثالية... فهي لا تألو جهدًا في سبيل تحصيل أولادها البنين والبنات للدرجات العليا دائمة الحضور إلى المدرسة للسؤال عنهم تتابع الدرجة والدرجتين والعلامة والعلامتين تنتظر الأبناء الصغار تحت أشعة الشمس الحارقة ظهرًا عند رجوعهم إلى البيت عند الشارع الرئيسي الذي يبعد عن بيتهم نصف كيلومتر.. ثم تحمل عنهم حقائبهم الثقيلة هذه المسافة كلها ثم تعود من جديد لتنتظر البنات.... ثم تأتي مع الصغير إلى المسائي وتجلس من الرابعة إلى الثامنة والنصف.. وهكذا يوميًا لا أنسى كيف كانت ترجوني من أجل أن أحول ابنها الصغير من المساء إلى الصباح برغم عدم وجود شاغر في الصباح وكيف كان إلحاحها الشديد لي لكي أقبل ابنها السادس في مدرستنا الخيرية وكم كانت سعادتها عندما جاءتها الموافقة برغم أن سكنها بعيد عن المدرسة وقد قاربت الخمسين من عمرها ومع أنها تأتي بسيارة أجرة فهي ضيفة دائمة في المدرسة لا تكل ولا تمل احترمناها لأمومتها، لحبها لصغارها، لحرصها، لفقرها، لعباءتها القديمة الممزقة كان ابنها الذي في المسائي لا يرضى إلا أن تجلس أمه أمام الصف، لذا كانت ضيفة ولفترة طويلة يوميًا..أمام باب صف ابنها على كرسي خشبي يكسر الظهر، حتى حنَّ عليها الفراش (ناصر) بكرسي آخر من البلاستيك..

كنت أغبط هذه المرأة على صبرها وقوة تحملها وحبها لأولادها، كانت نافذة مكتبي هي من تكشف لي المدرسة كلها أمامي، فما نظرت منها إلا وهي مسمرة في مكانها كأنها والكرسي ملتصقان.. ناديتها يومًا وقلت لها: أتعلمين إن إدارة المدرسة اختارتك الأم المثالية هذه السنة.. هتفت بدهشة: أنا!!...كأنها لم تتوقع الأمر قلت ومن غيرك يستحق ذلك يا أم محمد.. بكت أمامي بكاءً مرًا... خجلت من نفسي لأنني بخبري هذا أبكيتها... قلت لها: لم تبكين كل هذا البكاء؟؟ ألست سعيدة يا أختي؟.

قالت: بلى سعيدة، بل أكاد أموت من السعادة ولكنـــ... وهنا ألقت عليَّ مفاجـأة لم تكن في الحسبان مفاجأة وقفت أمامها مشدوهًا مفاجأة مدوية أدمعت عينـي وهـزت جوانحي.. قالت: أخي.. هؤلاء الأطفال أنا لست أمهم.. بل لست أمًا لكي أنال لقب الأم المثالية.. أمهم ماتت... منذ زمن وأنا زوجـة أبـيهم، لم يرزقنـي الله بأطفـال فكـان هؤلاء دنيتي وحياتي وفخري... أحببتهم كما لو كانوا أولادي بل لـربما لـو كـان لـدي أولاد لما أحببتهم كما أحببتهم إنهم كل حياتي ودنيتي.. إنهم عيوني وغنوتي.. إنهم آهـاتي وسلوتي وهنا رفعت رأسها والدموع في عينيها وسألتني: أخي هل أصلح أمًا؟؟ قلـت: بل أنت ملكة الأمهات(*).

❁❁❁

(*) موقع «صيد الفوائد».

obeikandl.com

لست في حاجة إلى الخادمة!!

اتفقت أنا وزوجي على الاستغناء عن الخادمة ما أمكننا ذلك، فأنا أكره الخدم وهو أشد كرهًا لهنَّ مني وانتهجت نهجًا معينًا جعل حياتي تسير بشكل طبيعي والحمد لله. ولكن الناس لا تستطيع أن تستوعب هذا الأمر تمامًا خاصة وأنا الآن أنتظر مولودي الخامس، إذ كيف يمكن لأي امرأة أن تعيش في هذا الزمن بدون خادمة؟!

لقد صاروا يربطون بين كل شيء في حياتي وبين عدم وجود الخادمة، لقد أزعجوني بكثرة حديثهم واستفساراتهم عن وضعي الجديد، إنهم لا يتصورون الحياة بدونها، فمع أن هذا هو الحمل الخامس، ومن الطبيعي أن المرأة تتعب مع تكرار الحمل إلا أن تعبي هو من نوع آخر، فأنا متعبة وأحس بإجهاد لأنه ليس عندي خادمة.

ولأنه ليس عندي خادمة فلقد تأخر مستوى ابنتي الدراسي هذا الشهر عن الشهر الذي سبقه، هكذا قالت لي أختي إذ كيف لي أن أستطيع تحمل عمل البيت وتدريس الأولاد؟ إنني حين أتغيب عن حضور بعض المناسبات الاجتماعية لأن وقتها مثلًا لا يناسبني أو لأن زوجي غير متفرغ أو لأن أحد الأبناء متعب أو لأي سبب آخر قالوا: مسكينة (لو عندها شغالة كان قدرت تحضر) وحينما أستطيع الحضور وأستجيب للدعوة لا يكفون عن سؤالي وتجريحي: متى تنامين؟ ومتى تصحين؟ ماذا تعملين بالغسيل والكي والطهي والترتيب؟ لماذا زوجك لا يريد خادمة؟ يقصد التكلفة المادية لها والمصاريف المتعلقة بها؟ إن راتبه جيد وأبناؤك يزيدون والعمل لا ينتهي؟ متى تستقدمين خادمة؟ بعد الطفل السادس أم السابع؟ أسئلة لا تنتهي ونظرات يشوبها شيء من الشفقة والرحمة لي وكأنني أستحق هذا، وأعلموا أنني أنا التي أشفق عليهم وأرحمهم، فهم لا يعرفون الراحة في بيوتهم ولم يتذوقوا طعم الحرية، بيوتهم كالسجن

ينامون وعيونهم مفتوحة ويخرجون من بيوتهم وقلوبهم فيها، إنهم قلقون على صغارهم، وخائفون من هذه - الغريبة - أليس من العجب أنهم يحضرونها امرأة ضعيفة ذلتها الحاجة جاءت لتعمل عندهم فاستعبدتهم وأذلتهم لها. يا لها من حياة بائسة تلك التي يريدونني أن أحياها.

إنني أمقت الخدم ولا أرى أنني في حاجة لهن، فما دمت في صحة وعافية وربة بيت لا ترهقني وظيفة ومنزلي ليس كبيرًا وزوجي متفهم لوضعي ومقدر لظروفي فلماذا أجلب الهم لي؟ أنا لا أشعر أنه ينقصني شيء عنكن، هاأنذا أخرج معكن للاستراحات والمتنزهات وأشارككن بطبق أو اثنين حسب المقدرة بينما اللاتي لديهن خدم يأتين أحيانًا وأيديهن صفرًا أو ربما أحضرت طبقًا من محل الحلويات القريب من بيتها.

إنني لا أرى الذين عندهم خادمات ينجزون أعمالهم في وقت قياسي، ولا أراهم لا يمرضون أو أن أبناءهم دائمًا متفوقون، بل إن بعضهم لديه خادمة أو اثنتين ولا تقوم بواجباتها الاجتماعية من زيارة مريض أو السلام على كبير.

إنني راضية عن حياتي بدون خادمة، والمستقبل بيد الله سبحانه هو الذي يعلم ما في الغد وبيده مقادير كل شيء سبحانه، لا أعلم هل سأحتاج إلى الخادمة أم لا؟ لكن الذي أعلمه أنني الآن لست في حاجة لها، ثم إنني أشعر بالتحدي ولهذا لا زلت صامدة مهما تكاثرت السهام(*).

«أختكم»

(*) مجلة «الدعوة».

الدراسة أم ضياع حق الوالدين

تشكلت الأماني أمام عيني عرائس في ثياب بيضاء يرقصن كالفراشات حين ولدت ابنتي الكبرى علياء وتبددت الأحلام كرمال تذروها الرياح حين كبرت علياء.

منذ كانت صغيرة والدراسة هي شغلها الشاغل، كانت متفوقة وذكية، وكنت أشجعها وأفخر بها، كل وقتها للدراسة والكتاب والقلم، لا تراها إلا تراجع، تذاكر، تكتب وتبحث، كبر معها هذا الوهم ولكن كبر أسفي أيضًا.

لم تكن تلتفت إلى عمل البيت، ولا المطبخ، لم تفكر في ثيابها ولا مظهرها، هيئتها وهي منكبة على الكتاب وقلمها معلق فوق أذنها لا تفارق مخيلتي حتى بعد أن تزوجت.

لم تكن تجلس معي لنشرب الشاي سويًا. تعود من المدرسة، تأخذ قسطًا من الراحة نكون خلاله قد تناولنا غذاءنا وبعد العصر تتناول وجبة خفيفة ثم تجلس في غرفتها وتغلق الباب حتى لا يزعجها الصغار لا يرافقها سوى أبريق الشاي، كأنها ليست في البيت لا تعلم عما يدور شيئًا، لا تشارك في القرارات ولا تعترض على شيء إلا إذا كان يمس الدراسة.

وتزوجت ولم أكن أتصور أن أراها يومًا في ثياب العرس، وواصلت دراستها الجامعية وسعت إلى ما فوق ذلك. وأكبت على المحاضرات والبحوث وانشغلت بالطالبات وتبددت أحلامي في ابنتي الكبرى التي ستشاركني الهم والفرح معًا فقد أخذتها الدراسة والبيت وغرقت حتى شوشتها الدراسة أولًا والدراسة أخيرًا وحق الوالدين ضاع بينهما. ليس هناك مساحة في حياتها لوالديها. أو دقيقة تسأل عنهما فيها.

في الصباح الجامعة وأحيانًا بعد الظهر ثم وقت للراحة وآخر للبحث والتنقيب وثالث للزوج والأبناء ثم ماذا بقي من اليوم غير ساعات قليلة للنوم؟

تتذكرني لكن متى؟ حين يداهمها الوقت ولم تكمل بحثها أو تنهي تحضيرها فترسل الأبناء لي حتى ترتاح من إزعاجهم ويصفو ذهنها للتحضير، وليتها اتصلت لأسمع صوتها وأبرد قلبي.. إنهم فقط يطرقون الباب في اللحظة التي يتصل والدهم بهاتفه النقال ليعلمني بحضورهم.

هي دائمًا هكذا لا تذكر أن لها أهلًا إلا حين تحضر المصلحة. كانت تقضي فترة الاختبارات عندنا تترك أبناءها الصغار عندي وعند الشغالة لأعتني بهم ونغسل لها ملابسها، ونحضر لها الطعام ونرتب أغراضها إنها فقط تذاكر وتأكل وتنام لا أراها أبدًا، لكنني أرى مراسيلها... علياء تريد شاي، تقول علياء: خلوا الشغالة تعمل لي عصير وساندوتش، قولوا للشغالة تكوي بلوزتي الحمراء.

(عمري ما شعرت أن لي بنتًا مثل بنات الناس، تقعد معي أحكي لها وأشكي لها وأفضفض عليها. تروح معي للمناسبات. تتصل علي كل يوم وتسأل عن أهلها، أعلمها بالذي يحدث في البيت واللي أشوفه في العزائم والأعراس).

حتى إذا صار عندنا مناسبة أو اجتماع عائلي تتعذر إنها مشغولة جدًا في بحثها ورسالتها وإذا حضرت جاءت معها بأوراقها وكتبها وجلست في غرفتها وأغلقت الباب كالعادة وأخذت تكمل عملها (ما تساعدني في الشغل ولا قد شفت منها خير تجي للعزومة من أجل أن ترتاح من عمل الغذاء في بيتها لزوجها وللصغار).

أفشلتني مع الناس، إذا اتصلت عليها لنزور ابنة خالتها الوالدة قالت معليش روحي لخالتك وأعطيها هدية من عندي أنا مشغولة في البحث وإن قلت إن خالتك فردوس دعتنا لزيارة ابنتها لطيفة آخر الأسبوع في قصر الأفراح قالت: «سلميني عليها

وتعذري منها والله ما أقدر» وحتى صارت ما تراعي مشاعر أحد، فهذه عمتها نرجس حساسة وتزعل بسرعة تركت علياء زيارتها بعد ما جاءت من مكة بالسلامة من فريضة الحج بحجة أن ما عندها وقت وأنها مضغوطة جدًا في الرسالة ووالله كادت تحدث مشكلة كبيرة لولا لطف الله، مع أن عمتها حلفت ألا تزورها.

علياء صارت مقطوعة عن العالم، عايشه في عالم ثان.. عالم الكتب والأوراق والأقلام، تركت أداء الواجبات الاجتماعية لا تزور مريضة في مستشفى ولا تسلم على أحد له حق حتى بالتليفون. تمر المناسبات السعيدة والمحزنة ولا تشارك أحدًا. جيرانها توفت جدتهم ولم تجد الوقت لتعزيهم. العيد اللي يقولون عنه سلام القاطع في العيد لا يسمع أحد صوتها، تبارك وتهنئ، حتى الهاتف ما ترد عليه من كثرة الشغل والبحث والدراسة ويوم ألحيت عليها تعزم حريم أعمامها وعمتها حتى ترضيهن اعتذرت بكثرة شغلها وأن البحث مأخذ كل وقتها ومدت في يدي خمسة آلاف وقالت: اعزميهم أنت واعتذري عني.

ارتقت سلم العلم والمعرفة ولكنها لم تتعلم طبائع الناس وعاداتهم الطيبة اللي تبيض الوجه وترفع الرأس يقولون عنها متكبرة وشايفة نفسها وغرتها شهادتها وأنا أدافع عنها وأوقف معها حتى عجزت.

أختها أسماء أخذت الثانوية في خمس سنوات ولا لقت جامعة تقبلها لكنها والله بعد ما تزوجت رفعت رأسي ورجعت لي عزي وأمنياتي اللي كنت أحلم بها مع علياء سأنتظرك يا علياء حتى تنتهي من دراستك وتنالي منالك وأرى إن كنت ستجمعين أحلامي المبعثرة وتعيدين أمنياتي الضائعة وحتى حينه لك مني السلام واسلمي(*).

«أمك»

(*) مجلة «الدعوة».

الإعاقة وقسوة المعاملة!!

هل تصدقين لو قلت لك: إن هذا الشاب المعتوه كان طفلًا وديعًا كسائر الأطفال؟ وهل تصدقين لو قلت لك: إنه لم يتعرض لحادث دهس ولا سقوط أدى به إلى هذه الحال؟ ربما أنك لن تصدقي إن قلت: إن وضعه هذا نتيجة سوء معاملة أهله له، ولكن إليك الحكاية.

(فؤاد) هذا هو ابن أخي، أذكر يوم ولادته جيدًا جاءوا به إلى أبيه محمولًا في خرقة فرح به واستبشر ولكنها فرحة مشوبة بالحذر إذ إن عاهة بسيطة كانت بادية في ذراعه وبالأخص في مفصل كفه الأيمن. شب فؤاد سريعًا وفاق أقرانه وسامة وجسامة وربما كان سيحوز على حب والديه لولا هذه العاهة في كفه التي تزداد وضوحًا مع الأيام.

كان المفروض أن يتقبل أهله هذا الأمر إيمانًا منهم بالقضاء والقدر أولًا ولإعطاء الأمور حجمها الحقيقي ثانيًا وحتى لا يأخذ الحال بُعدًا آخر ولكن مع فؤاد اختلف الوضع كثيرًا. كانت أسرته مغرقة في حب المظاهر والزينة ولها حساسية شديدة لمثل هذه الأمور، ولأن الناس بطبعهم فضوليون فقد أمطروا أهله بالأسئلة: كيف يأكل؟ كيف يعتني بنفسه؟ هل يحس بألم؟ هل عرضتموه على أحد الأطباء أو المعالجين الشعبيين؟ ترى ما سبب هذه الإعاقة؟ كيف سيدرس؟ ويكتب؟

كانوا يمسكون يده الصغيرة ويقلبون كفه الغضة بين عيونهم كأنما هي قطعة من الحلوى يتفحصونها قبل أكلها، كل هذه الأسئلة والأفعال كانت تضايق عائلته وتولد لديهم ردود فعل قاسية، ومن هنا فكروا بإبعاده عن عيون الناس لا تدعوا فؤاد يظهر لأي ضيف ولأنه صغير فقد كانت إحدى أخواته تجلس معه في معزله حتى يغادر الضيوف.

من الأفضل أن يظل هذا الحال مؤقتًا، ولكن لأنانيتهم المفرطة وحساسيتهم الشديدة ولصلابة رأس والدته وعنادها استمر الحال كثيرًا، بل دائمًا، فأحيانًا يستلزم الأمر خروجهم من البيت جميعًا فيتركونه مع أحد إخوانه الكبار الذي يتضايق منه لأنه حرمه المشاركة في هذه الزيارة فلا يبالي بنفسية هذا الصغير ولا في أي واد سحيق.

كم هم قساة القلوب متبلدو المشاعر، متحجرو الأفئدة، إنهم لا يسمعون نصحًا من أحد، كم خوفتهم بالله!! كم حذرتهم من عاقبة فعلهم؟ ولكن لا حياة لمن تنادي؟

كبر فؤاد ولازمته العزلة، صار منظره مخجلًا لأخواته!!! فهن يتضايقن من ظهوره أمام صديقاتهن أو مرافقته إياهن للسوق ولأنه لم يعد صغيرًا فقد صاروا يغلقون عليه الباب ويتركونه وحيدًا. وحيدًا مع نفسه... مع آلامه وعذابه... مع عاهته وسجنه. تخنقه العزلة، وتقتله الوحشة يفكر في حاله ومآله (ماذا جنيت؟ وما هو ذنبي؟ أين أذهب؟ وإلى أين أغدو؟ ولماذا أنا هنا وحدي؟ والجميع في الخارج يستمتعون ويعيشون؟ لا أحد هنا معي سوى هذه الجدران الباردة، والظلمة الحالكة.

في هذا الظلام الدامس أرى عيونًا شاخصة وأفواهها مفتوحة وأنيابًا حادة يقطر منها السم... الألم... أريد الهرب ولكن إلى أين؟ الباب موصد... وحش هو الآخر يهم بافتراسي ويجثم فوق صدري.. يصوب نظراته نحوي نحوي، علني.. إنهم يتمنون موتي.. ليت هذه الجدران تطبق علي.. ليت الأرض تبتلعني.. ليل طويل يومي.. ليل القهر والحسرة.. ما أوحش هذه الغرفة تبدو كالقبر.. يارب أين أفر؟

يخبط الأرض برأسه، يرفص الباب برجله ولا مجيب سوى رجع صداه وأنين المكان الموحش.

عاش ابن أخي في بيت والده منبوذًا (شكله يوحي بالقرف) هذا ما كانوا يرددونه... إنهم لا يرغبون في وجوده، لا يحتملون رؤيته، إنه يسبب لهم المضايقات

ويحرجهم مع الآخرين، الكل هنا يطرده ويحجبه عن رؤية الناس حتى عندما أود السلام عليه لا يمكنونني من ذلك... المسكين صارع لحظات الأسى وحده حتى تأثرت صحته وانسحب هذا الأثر على ذراعه كلها فصارت مشلولة.. هكذا فهمنا الوضع.

لقد انكفأ على نفسه وانطوى خجلًا، أحس بثقله على من حوله، فهو يحتاج إلى معين فتأثر نطقه وبدأ يتلعثم ثم شرد ذهنه واضطرب تفكيره وصار يأتي بكلام غير مفهوم أحيانًا.. يتعثر في مشيه كثيرًا كطفل صغير يتعلم المشي.. يبكي بشدة ثم يهدأ ثم يعاود البكاء وأحيانًا يضحك بلا سبب أو يضرب نفسه أو من حوله.

في آخر مرة رأيته فيها كان شرسًا، عنيفًا، ضائع النظرات، مجهول التعابير، يبدو أن عقله توقف عن النمو عند حد معين. بكيت على حاله وتحسرت لما آل إليه، إنه ضحية لتعامل سيئ قاس من أفراد لا يدركون معنى الرحمة ولا يعرفون للشفقة سبيلًا تتزعمهم أم جاهلة وأبٌ غائب عن ميدانه.

إن فؤاد الآن مريض نفسيًا وإن لم يتداركه والده بالعلاج فسوف ينهار أو ينفجر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(*).

«عمنك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

فاطمة.. والكلية الواحدة

اقتربت الساعة من الرابعة صباحًا.. كل شيء حولها ساكن لا شيء يتحرك سوى أوراق الشجر عندما يداعبها نسيم السَّحر.. أغصان الشجرة تتدلى بالقرب من النافذة تكاد أن تعانقها.. الهدوء والسكينة يعمان كل شيء.. فجأة انطلق صوت المنبه.. ترررن.. ترررن.. ترر.. أسكتت خديجة هذا الصوت المزعج في سرعة فائقة وهبت من الفراش، توجهت متثاقلة إلى دورة المياه.. مشيتها الثقيلة صارت معتادة بالنسبة لها؛ فهي في نهاية الشهر الثامن من الحمل.. بطنها كبير وأرجلها متورمة. أصبحت تتعب بسهولة.. وحتى تنفسها تجد فيه صعوبة.. وجهها شاحب.. جفونها متدلية من كثرة البكاء.. ولكنها لا بد أن تقوم في ذلك الوقت.. لم يبقَ على أذان الفجر سوى ساعة واحدة!! خديجة من أقرب صديقاتي.. كان قد مر على زواجها حوالي ثلاث سنوات فبالطبع كانت فرحتها وفرحة زوجها غامرة عندما عرفا أنها حامل. ولكن في إحدى زياراتها للطبيبة المتخصصة وبعد إجراء الاختبارات اللازمة أخبرتها الطبيبة أن الابنة التي تحملها في أحشائها عندها كلية واحدة فقط!!.

سبحان الله! الأطباء هنا في الغرب بالرغم من تفوقهم العلمي إلا أنهم يفتقدون المشاعر الإنسانية؛ فها هي خديجة في صدمة رهيبة مما سمعت والطبيبة تخبرها في منتهى البرود أنه لا يوجد حل فوري ولكن بعد الولادة من الممكن أن تجرى فحوصات على المولودة لتحدد صلاحية الكلية الواحدة، وإن لم تكن صالحة فعمليات زراعة الكلى أصبحت مثل عمليات اللّوز!! خرجت خديجة من عند الطبيبة وهي في حالة ذهول.. لا تدري كيف وصلت إلى بيتها!! أول مولودة لها وبكلية واحدة!! ما العمل؟ هل من الممكن أن تكون الطبيبة مخطئة؟ بحثت خديجة وزوجها عن أحسن الأطباء في هذا

المجال ولكن كل طبيب كان يأتي بنفس التشخيص.. كلية واحدة!! ومع كل زيارة لكل طبيب منهم كان أملها يقل ويضعف وفي النهاية سلمت للأمر الواقع. وآخر طبيب قال لها ألا تتعب نفسها فالوضع لن يتغير.. وأدركت خديجة في تلك اللحظة أنه ليس بيدها شيء سوى التوجه إلى الله بالدعاء.. ومنذ ذلك اليوم قررت أن تقوم في الثلث الأخير من الليل للصلاة والدعاء لابنتها التي لم تولد بعد.

فقد أخبر - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - في محكم التنزيل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البَقَرَة:١٨٦]، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأَنعَام:١٧]، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يُونُس:١٠٧]، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غَافِر:٦٠].

وأيضًا ورد في الحديث الشريف، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ينزل ربنا - تبارك وتعالى - كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**» [رواه البخاري ومسلم].

أيقنت خديجة أنه لا ملجأ إلا إليه فلم تتردد في القيام يوميًا قبل الفجر بساعة أو أكثر بالرغم من التعب الذي كانت تعانيه من الحمل ومن قلة النوم.. يوميًا تتجه في الثلث الأخير من الليل إلى سجادتها في مصلاها وتسجد في خشوع وتسأله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن يرزقها ابنة بصحة جيدة وكليتين! كانت تلح في دعائها وتبكي إلى أن تبتل سجادتها. لم تكل يومًا أو تمل.. جسدها أصبح منهكًا.. الركوع والسجود أصبحا في

غاية الصعوبة ولكنها لم تتراجع أو تشكو ولو مرة واحدة. وكلما أخبرتها الطبيبة بنفس النتيجة مع كل زيارة ومع كل فحص ازداد عزم خديجة على القيام في الثلث الأخير من الليل، أشفق عليها زوجها من كثرة القيام وخشي عليها من الصدمة عند مولد الابنة ذات كلية واحدة وكان دائمًا يذكرها بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد يؤخر الاستجابة؛ فقد روى أبو سعيد رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**» [رواه أحمد في المسند].

وكانت هي تذكر زوجها بأن لا حيلة لها إلا أن تسأل الله؛ فإن لم تسأله هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فمن تسأل؟؟!!.

لا تسألنَّ بُنَيَّ آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب

اللّه يغضب إن تركت سؤاله ... وبُنَيَّ آدم حين يُسأل يغضب

وكيف لا تسأله وقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى: «**يا عبادي لو أن أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كلَّ إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقُص المخيط إذا أُدخل البحر**» [رواه مسلم].

قبل الموعد المتوقع للولادة بحوالي أسبوعين حضرت خديجة لزيارتي، ودخل وقت صلاة الظهر فصلينا وقبل أن نقوم من جلستنا امتدت يد خديجة إلي وأمسكت بذراعي وأخبرتني أنها تحس بإحساس غريب، سألتها إن كانت تحس بأي ألم فأجابت بالنفي ولكن للزيادة في الاطمئنان قررنا الاتصال بالطبيبة فطلبت منا مقابلتها في المستشفى. حاولنا الاتصال بزوج خديجة لكن بدون جدوى؛ فهو في صلاة الجمعة.

فتوكلنا على الله وذهبنا إلى المستشفى وتعجبنا أنهم أخبرونا أنها في حالة ولادة!! فجلست بجانبها أشد من أزرها وأربت على كتفها... وكانت والحمد لله كثيرة الدعاء، وبالرغم من الآلام إلا إنها كانت تسأل الله أن يرزقها ابنة بصحة جيدة وكليتين!! وولدت فاطمة.. صغيرة الحجم.. دقيقة الملامح.. وجهها يميل إلى الزرقة، وفي ظهرها نقرة (نغزة) صغيرة قرب موقع الكلية، كأن جسدها الصغير امتص فراغ الكلية الناقصة.. بكيت وبكت خديجة ووسط دموعها كانت تتساءل عن حالة ابنتها.. بماذا أرد؟! ماذا أقول لأم أعياها السهر وتهدلت جفونها من البكاء وما زالت تتألم؟!! «ما شاء الله حلوة».. حاولت أن أقول شيئًا آخر ولكن الكلمات انحبست!! وسبحان الله ما كانت إلا دقائق معدودة وتحول اللون الأزرق إلى لون وردي، ودققت في وجه فاطمة.. سبحان الخالق.. وجهها جميل، ولكن كل ما نظرت إليها تذكرت المشاكل التي قد تواجهها بسبب الكلية الواحدة.

لم أتكلم ولم تتكلم خديجة فكل واحد منا كان يفكر.. ماذا سيكون مصير الطفلة ذات الكلية الواحدة؟!! حضر أطباء الأطفال وأجروا الفحص المبدئي وأبلغونا أنها فيما يبدو طبيعية ولكن لا بد من إجراء فحوصات مكثفة لمعرفة صلاحية الكلية وهذا لن يتم إلا بعد أسبوعين من ميلادها، ترددت خديجة كثيرًا في أخذ فاطمة لإجراء الفحص الشامل. قالت لي في يوم من الأيام «قدر الله وما شاء فعل.. لا داعي لأن أرهق جسدها الضئيل بتلك الفحوصات»، ولكنها أخذت بالأسباب وقررت إجراء تلك الفحوصات.

وجاء اليوم الموعود وجلسنا في غرفة الانتظار نترقب خروج الطبيبة لتخبرنا عن حالة الكلية الواحدة.. هل ستحتاج فاطمة إلى كلية «جديدة» أم أن كليتها الواحدة ستقوم بعمل الكليتين؟؟!! وخرجت الطبيبة وعلى وجهها ابتسامة باهتة.. توجهت

إلينا وقالت: «لا أدري ماذا أقول ولا أعرف ماذا حدث!! لكن ابنتك بصحة جيدة وبكليتين!!».

أتهـــزأ بالـــدعاء وتزدريـــه ... ومـا تـدري بمـا صـنع الـدعاء!!

مـــا أجمـــل أثـــر الدعـــاء ... ومـــا أرحـــم الله بخلقـــه!!

فاطمة تبلغ الآن الخامسة من عمرها.. حفظها الله وجعلها قرة لعين والديها(*).

❁❁❁

(*) موقع «صيد الفوائد».

obeikandl.com

احترس القربة مشقوقة

في ضحى يوم السبت أنتظر هاتفًا ثقيلًا من خيرية زوجة ابني مازن تستطلع أخبار آخر الأسبوع وتأخذ الموجز فالتفاصيل وافاها بها زوجها، من جاء يوم الخميس؟ ومن جاء يوم الجمعة؟ ومن الذي جلس للعشاء؟ لماذا هدى متعبة؟ يقول مازن إنها كانت طول الوقت مستلقية على ظهرها. لماذا ذهبت هند مع السائق؟ هل زوجها مسافر؟... أسئلة متتابعة يأخذ بعضها برقاب بعض أعلم يقينًا أنها تملك إجاباتها كلها إلا أنها تود فقط أن تتثبت.

فزوجها هداه الله، لا يترك شاردة ولا واردة إلا أوصلها لها، وهي بطريقتها المفذلكة تستطيع معرفة ما تريد، هي لا تحضر كل أسبوع فاجتماع أهلها أهم، ومع ذلك تعرف ما لا يعرفه الحاضرون.

في يوم الجمعة قبل الماضية، كان أبنائي عندي على الغداء كالعادة كل جمعة، أخبرتهم في ثنايا حديثي عن الخاطب الجديد الذي تقدم لمنال ابنة أختهم، الأمور في بدايتها وتحتمل الرفض أو القبول، سألتهم إن كانوا يعرفونه أو سمعوا به فقال مهدي: إن اسم عائلته مطابق لاسم عائلة صديق ربما يكون أخاه أو ابن عمه.

وفي صباح السبت الذي يليها اتصلت خيرية تتحسس الأخبار كيف حال رندة وكيف بناتها؟ صحيح إن منال ستتزوج؟ ومن سعيد الحظ؟ وأين يعمل؟ هل سيقيمون حفلًا كبيرًا مثل أختها؟ هل ستسكن مع أهله أو وحدها؟ المهم لا ينسون أن يدعونا في الشبكة...!!.

من الصعوبة بمكان أن أقول لمازن: لا تخبر زوجتك بكل شيء فهذا معيب في حقه، فهو صار رجلًا عليه مسؤوليات وله أبناء، ولم يعد في حاجة لنصائحي

وتوجيهاتي، ثم إن هذا طبعه، كالقربة المشقوقة التي لا تحفظ الماء، لا يمكن أن يحفظ سرًا أو يكتم خبرًا، وزوجته أيضًا لا تستحي فهي تتحمل جزءًا من المسئولية، ثم إن من المستقبح أن أقول لأبنائي دائمًا هذا الخبر لا تنقلوه لزوجاتكم، وهذا الخبر انقلوه، فهم رجال ويفترض منهم معرفة هذا بالفطنة، فنقل الكلام وإفشاء الأسرار ليس أبدًا من طبع الرجال.

ربما أن أحد أبنائي مثل مازن ولكن زوجاتهم لا يبدين شيئًا، فلا يسألن عن شيء حتى أخبرهن به، ولا يبحثن في أمر حتى يتبين لهن كالشمس في وضح النهار.

أما زوجة مازن فهي تمعن في إيذائي بسلوكها هذا المسلك، هل تريد أن أعرف أنها تدري بكل شيء ولا يمكنني إخفاء شيء عنها؟ أم أنها من النوع الذي لا يرتاح له بال حتى يتقصى خلف الخبر ليعرف مدخله ومخرجه وملابساته؟ هي على كل حال مزيج من هذا كله.

اتصلت ذات يوم ولم تجدني، فاتصلت برندة ثم بعد السلام والسؤال باغتتها بالقول أين ابتسام؟ أتصل بها ولم ترد؟ رندة تعرف أن خيرية تعرف كل شيء ولكنها لم تشأ أن تعطيها الجواب. فقالت: لماذا هي عند أهلها؟ هل لأن مهدي رفض أن يجلب لها خادمة؟ في الحقيقة ليس له حق، جعل المسألة تكبر وكان يستطيع حصرها، لماذا يقول لها: إنك أنت الخادمة، لو قال: إن تحسنت الظروف المادية جلبت لك خادمة كان أفضل، ثم إن ابتسام تتحمل جزءًا من الخطأ ما كان ينبغي أن تقول له: (يا بخيل) من أجل هذا الطلب. قد لا يكون المال هو مقصده ذهلت رندة أمام معرفة خيرية بهذه التفاصيل الدقيقة التي جرت في بيت مهدي بينه وبين زوجته، لكن دهشتها زالت حين قالت خيرية أن مازن هو من أخبرها.

لقد صارت تعرف كل شيء يجري بشكل مزعج، البنات لم يعدن يتحدثن أمام مازن بشيء وإن زلت ألسنتهن جاءهن الخبر عجولًا على جناح السرعة، قالت لهند

مبروك الترقية لزوجك ولكنها لم تثبت بعد مازن قال لي ذلك. وقال إنكم ستسافرون لماليزيا هذا الصيف ابتهاجًا بالترقية، بصراحة اختيار موفق ولكن متى النية؟

لا مفر منها ومن تطفلها، إن نفيت علمي بالأمر قالت إن مازن يقول وإن أثبت كلامها بحثت عن التفاصيل، وابني كمحرر الأخبار يمدها بها أولًا بأول أخبار مهمة أو ثانوية، موغلة في الخصوصية أو عامة لا فرق عنده، يصب في مسامعها ما يراه أو يسمعه أو حتى يحسه، ما يفهمه الرجال أو يرقى فوق مستواهم من أمور النساء.

بالطبع لا يمكنني أن أخص إخوانه بحديث دونه ولكنني أرجو أن يفهم هذا أو يقرأ كلامي ليعرف مدى الأذى الذي طالني منه بل طال الجميع(*).

«أم زوجك»

❁❁❁

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

شكوى أم استشارة

ينتابني شعور بالأسى كلما كلمتني (فيروز) أود أن أقول لها شيئًا، أريدها أن تفهمه ولكنني أصمت في اللحظة الأخيرة، فأنا أخشى أن تسيء فهمي، وتظن أنني أمِلُّ من شكواها.

لقد صارت مذبذبة الفكر، مشتتة الخطو، لا يقر لها قرار، ولا تبين لها طريق، ولا غرابة فهي تتحدث في كل اتجاه وتستقبل من كل الجهات.

حين حدثت لها مشكلة كبيرة مع زوجها ذهلت من الطريق الصحيح، وحارت في دروبه فهي تلف وتدور منطلقة من نقطة وعائدة إليها في حلقة مفرغة، لم تصل إلى نتيجة ولم ترتسم أمامها معالم الحل السليم.

اتصلت بي تستشيرني فأشرت عليها بالذي أراه صوابًا والمستشار مؤتمن فشعرت في نبرات صوتها بالوثوق والاطمئنان، ثم لم ألبث ساعة إلا واتصلت مرة أخرى فإذا بها غير تلك الأولى، مذبذبة، مقهورة تتحدث بلغة الحسرة والضعف وتندب حظها العاثر، ثم بعد فترة تتصل لأسمع في صوتها صرخات الغضب والانتقام فهي ترعد وتزبد وتزمجر وزوجها هو هو في كل الحالات لم يتغير منه شيء.

قلت لها: ما بك؟ فإذا هي في كل مرة تشكو حالها إلى أحد، ففي مرة شكت حالها إلى صديقتها التي رأت أن الاستسلام للحال والانحناء أمام العاصفة لتمر هو الحل لتكون بعيدة عن المشاكل ووجع الرأس، فهي ضعيفة مقهورة أمام جبروت الرجل لا حول لها ولا قوة.

أما الأخرى التي تتسم بالقوة فرأت أن المرأة تملك الكثير لتفعله، وأنه حان الوقت لتقلب لزوجها ظهر المجن وتريه النجوم في الظهيرة، وتعلمه أنها كانت في الماضي هينة لينة فلم ينفعها ذلك لذا سوف تغير سياستها معه وسوف تعمل كبقية النساء.

أنا أدرك أن أختي لا تفعل ذلك أبدًا لأنها بكل بساطة تغرق في شبر ماء فلا تعود تسير في حديثها مع من؟ وفي أي حدود؟ فهي تخبط خبط عشواء فتجدها تتحدث في مشاكلها ومتاعبها، بل همومها الخاصة جدًا مع كل أحد في غرفة المعلمات، وفي غرفة الانتظار في المستشفى وفي السفر تبث معاناتها إلى من بجانبها في المنتزه أو الحديقة، بل في الاجتماعات العائلية لابد أن تجد من تتحدث معه وتنشر غسيلها أمامه. فهي تتحدث إلى الجميع وتستشيرهن وتأخذ بآرائهن المتضاربة، والمتنافرة والمتضادة دون تمييز أو تمحيص بين الصديقة الصدوقة والصديقة الضارة أو بين الرأي الصائب والرأي الخاطئ.

يوم أن أقرضت زوجها عشرة آلاف ريال، ثم ماطل في ردها، ثم أنكرها سألتني فأشرت عليها أن تحسن إليه وتداريه حتى تحصل على مالها ولمتها لأنها لم تسجل الدين، وبعد فترة قالت لي: إن صديقتها (مرفت) أشارت عليها بأن ترمي الأولاد عليه وتبقى عند أهلها غاضبة حتى يأتي بمالها ويرضيها ويتأدب أيضًا، أما جارتها (أم فيصل) فقالت لها: اصبري، الشكوى لله إن أعطاك حقك وإلا فالحساب بينكما يوم القيامة عند الله الذي لا تضيع عنده الحقوق، وفي عيادة النساء كان عندها موعد فحكت على إحدى المراجعات وقالت لها: خذي من ماله دون علمه، وسجلي ما أخذته حتى يتم لك مالك. اتصلت بي فيروز تقول إنها حائرة بأي الحلول تأخذ؟.

لماذا تكلمين كل أحد ترينه؟ لماذا تفشين سرك لكل أحد؟ هل لأن إحداهن قد مرت بمشكلة مشابهة لك يعني أن بيدها مفاتيح الحل؟ حقًا قد تتشابه المشكلات ظاهريًا لكن الدوافع والملابسات والظروف تختلف من شخص إلى آخر، الشكوى لغير الله مذلة، فإن لم تقدري على الصبر فالأقربون أولى، أختك تعرف عن حياتك ما لا تعرفه صديقتك والكيسة ممن حولك قد ترشدك إلى الصواب لذا عليك أن تنتقي

جيدًا. وإلا فإن الأولى أن تعودي نفسك الصبر وتحمل مشاق الحياة، ثم تستعينين بالله دائمًا في كل أمورك، وعليك أن تواجهي المشكلة بصمود وترو، فتقسميها إلى عدد من النقاط، أعني تحللينها وتعرفين منشأها هل هو حادث أم قديم وتتعاملين معها بما ترينه مناسبًا لك، فليست كل المشاكل مستعصية ومؤلمة وصعبة، ولا تظنين أن البيوت مبنية على الهناء والسعادة، بل هي مبنية على الستر، فهناك مشكلة يكفي فيها الاعتذار، وأخرى تصلحها الأيام وتحلها وهكذا.

إن كل واحدة من اللاتي تبثين إليهن شكواك تعطيك حلًا يناسب شخصيتها، فالقوية حلولها دائمًا متهورة وحاسمة ولا تنظر إلى العواقب، والضعيفة تزيدك انهزامًا ومسكنة، أما التي لا تملك حلًا فتحكي لك حكايات كثيرة تشبه حكايتك ولن تجدي عندها ما ينفعك.

أختي: لا تفسدي حياتك بيدك، ولا تتشبثي بعدة حبال فتتمزقي، بل تمسكي بحبل الله المتين، واستعيني بالله، وأكثري من الدعاء والاستخارة، ثم استشيري أهل الرأي والمشورة فهم إن لم ينفعوك فلن يضروك أبدًا كان الله معك وسدد خطاك(*).

«أختك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

الاجتماعات الأسرية

نحن اثنا عشر شقيقًا، ست بنات وستة أبناء، كلنا متزوجون ولنا منازل خاصة، شعرنا أن الأزواج والذرية قد ألهونا عن بعضنا فقررنا أن نجعل لنا اجتماعًا أسريًا خاصًا يضمنا نحن فقط «الإخوان والأخوات» نتبادل الحديث، ونتشارك الهموم، ونتناول الشؤون الأسرية، فكان لنا ذلك وصار يوم الأربعاء من كل أسبوع هو يوم اجتماعنا الخاص، وكان قبل ذلك يوم الخميس كل أسبوعين هو يوم اجتماعنا بزوجات إخواننا وأبنائهن.

مضينا على ذلك زمنًا، كان يوم الأربعاء يومًا حافلًا تحضر كل واحدة منا طبقًا، ونجهز الشاي والقهوة ونتجاذب أطراف الحديث حتى يأتي موعد الانصراف، فتمر الساعات أسرع مما نتوقع وينفض المجلس لا يعكر صفوه شيء.

راقت الحال لأخواتي وبدأن يتململن من اجتماع يوم الخميس ويرين أنه لا فائدة فما دمن يتواصلن مع إخوتي فهذا هو المهم فما الداعي للاجتماع يوم الخميس.

من هنا ولدت المشكلة، فإذا أتى يوم الخميس حضرت بعض أخواتي وربما بقيت إحداهن ساعة أو تزيد قليلًا ثم خرجت بحجة أنها بالأمس كانت هنا أو لأن أهل زوجها يجتمعن أو لأن لديها أعمالًا مهمة فتبقى زوجات إخواني مع بعضهن قليلًا ثم يبدأن بالانسحاب، هذه تتصل بزوجها والأخرى تختلق عذرًا والثالثة تبدي تذمرها صراحة.

هذا كان في بداية الأمر، أما الآن فإن الوضع يزداد تعقيدًا، فما عادت واحدة من أخواتي تحضر يوم الخميس بالرغم من محاولاتي المستميتة لتجنب ذلك إلا أنهن يرفضن وبدأن يشكلن حزبًا قويًا ويتحدن في سبيل آرائهن وأنا أقف في منتصف الساحة بين

الفريقين، أحاول ستر الحقيقة عن زوجات إخواني، وأناضل في سبيل أن تتنازل أخواتي عن رأيهن. فأنا الصغرى وليس لي كلمة مسموعة بينهن ولكنني أحاول. مرت شهور كثيرة لم نعد فيها نرى أبناء إخواني أو زوجاتهم والسبب تمسك أخواتي بآرائهن السقيمة، إذ كلما حاولت أن أسألهن عن المبررات وجدت أعذارًا واهية وحججًا بالية فهذه تقول أنها لا تجد معهن انسجامًا؟ والأخرى تذكر أن زوجة أخي عاصم دائمة الاستعراض بلباسها وحقائبها وحليها. فلا حاجة لنا بها، أما (لبنى) أختي الكبرى فتقول إن (سواليفهن) لا تصلح لي والمهم أن أرى إخواني جعلهم الله ذخرًا وهكذا.

لقد تحول الأمر إلى شبه قطيعة دون سبب بيِّن مقنع.. وذات يوم اتصل بي أخي (سليمان) محاولًا معرفة الحقيقة وبدا في كلامه معرضًا بأمور، ثم نقل وجهة نظر زوجته التي ظهر منها التذمر واضحًا أكثر من مرة، فإذا كنا لا نجتمع كالسابق يوم الخميس ولا نتزاور في بيوتنا فمتى سيرى أبناؤنا عماتهم، ولماذا هذا التجافي الذي ليس له سبب، فإن كنا مخطئات أو ظهر منا ما لا يسر فالصراحة كفيلة بإصلاح الأمور وليس هذا حلًا سليمًا أبدًا. نحن كالأخوات قبل كل شيء هذا ما قالته إن ما يحدث لا يرضي الله حقيقة لم أستطع الرد عليه وإن كنت حاولت أن أظهر أخواتي في صورة حسنة فهن لا يقصدن أبدًا وربما أن اجتماعهن يوم الأربعاء يكلفهن الكثير ولكنني وعدته خيرًا، طبعًا سليمان لا يستطيع أن ينقل وجهة النظر هذه إلى البقية فأخواتي هن الكبيرات وربما ساهمن في تربيته وتعليمه وأعني بعضهن.

وفي يوم أربعاء وقبل أن يحضر إخوتي أبلغت أخواتي بهذا الأمر فرأيت في وجوههن امتعاضًا وتفاجأت بجوابهن إذ قالت سلوى: إن زوجات إخواني لم يعدن يرغبن في التواصل وحقيقة قد نفرط في اجتماعنا يوم الخميس، ولكن يوم الأربعاء لا يمكن أبدًا، رضي من رضي وسخط من سخط!

ترى ما الحل معهن؟ لقد دعاهن سليمان لبيته فكان ما لم أتوقعه إذ أبدت أخواتي رغبتهن في شرب القهوة مع إخواني فبقين معهم في المجلس حتى نهاية اليوم شربن القهوة والشاي وتناولن العشاء أيضًا مما أغاظ زوجة أخي كثيرًا إذ تحولت الجلسة إلى اجتماع بارد بل ميت ليس له نكهة، فكل واحدة من زوجات إخواني أخذت تشغل نفسها بأي شيء إما تقلِّب مجلة أو تقرأ الرسائل في جوالها.

الاستراحة حل فاشل إذ رفض الجميع ذلك، فإخواني عدا سليمان لا يأبهون أبدًا بهذا الوضع بل ربما لم يفكروا فيه، فالمهم هو أنهم لا ينقطعون عن أخواتهم وعن أحاديثهن الشيقة. إنني أعلم أن مجرد الحديث في هذا الأمر يؤجج الموقف وترك اجتماع الأربعاء يؤدي إلى عواقب سيئة، ولكني أيضًا يئست منهن ومللت تكرير الاسطوانة كل مرة، فإن كان ما تفعلونه صوابًا فأتمنى أن تروا عواقبه الحميدة قريبًا، وإن كانت الأخرى فاللهم ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا واعف عنا واغفر لنا يا رب العالمين(*).

«أختكم»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

ثرثارة ولكن!!

فرحنا كثيرًا بقرب زواج أخي، إنه أول زواج في عائلتنا وأخي سوف يسكن معنا، كنا نسهر الليالي نتحدث عن هذا الزواج وعن خططنا له وعن ترتيباتنا.

تخيلنا زوجة أخي وأبناءه، والبيت يمتلئ بشغبهم. ومرت الأيام والشهور بسلام وصار الحلم واقعًا وها هو أخي أب لطفلين كالورود تعطر حديقتنا. إن حياتنا تبدو هانئة لا ينقصها شيء سوى أمر واحد هو زوجة أخي، فهي طباخة ماهرة وربة بيت بارعة ولكنها مع الأسف ثرثارة.

فهي تنقل كل ما يحدث في بيتنا من أمورنا الخاصة أو قضايانا المصيرية إلى أهلها، بل حتى ما يتعلق بأقاربنا ومعارفنا لا تميز بين الأمور السرية الدقيقة والأمور العامة العادية. خمس مكالمات في اليوم تبدأها بموجز بسيط ثم تفصل الأنباء وتسهب في الأخبار والتحليل حتى تتمكن من تغطية الحدث بشكل جيد.

خُطبت لشاب خُدعنا به والحمد لله أننا عرفنا حقيقته قبل أن نوافق له، ومع ذلك سمعت هذا من صديقتي في القسم وبعد التحري والسؤال عرفت أن أخت زوجة أخي في القسم الآخر هي التي نشرت الخبر. لقد أحرجتني بهذا الفعل.

إن تصرفات أخي المراهق وطيشه وخلافاته المتكررة مع والدي وغيرها كلها أمور مشاعة يعلم بها الجميع، والأدهى من ذلك أن خلاف عمتي مع زوجها ومكثها عندنا فترة من الزمن قبل أن يتصالحا كان طي الكتمان وقيد السرية ومع هذا فإن إحدى جاراتنا اتصلت بأمي تستفسر عن صحة الخبر وتطمئن على الحال.

إن هذا الخلق مذموم، والله نهى عن التجسس وتتبع العورات ومع هذا قد نجد لها عذرًا ونصبر على هذا الطبع منها ولكن الذي لا يمكننا الصبر عليه هو الإفساد بيننا

وتفريق شملنا. لقد لاحظنا أن أخي بدأ يتغير، لم يعد ذلك الوجه الصبوح والبسمة الباشة، أصبح يقابلنا ببرود، بل بنفور؟!

بحثنا عن السبب، فتشنا في أنفسنا وعرفنا السر؟!! إنها تنقل له الكلام مزورًا وتحوره وفق شهواتنا، بل قد تنقله صحيحًا لكنها لا توضح القصد منه أو مناسبته.

أدرك جيدًا لماذا قال لي أخي ذات يوم: كم من واحدة معها الشهادة الجامعية ومع ذلك ليس لها من العلم والفهم نصيب، وكم من واحدة معها الكفاءة وهي كلها كفاءة ودراية وخبرة، لأنه ظن أن حديثنا عن الشهادة بذاتها وأنها سلاح العصر إهانة لزوجته وحط من مكانتها هو لم يحضر تلك المناقشة ولكنها نقلت إليه!!

زوجة أخي الغالية: لقد ذكر لنا من خلقك الشيء الكثير ولكننا لم نر ذلك معنا ولم نشعر به، إنك تجيدين نقل الكلام وتزويق الحقائق فليتك تنقلين لأخينا بعض ما نعانيه أحيانًا ونحرج في نقله له حتى يعيش معنا بفكره وثقله.

يا أخية: ما أقبح أن يكون المرء مصدر الأخبار وناشر الأسرار، والأقبح أن يكون في هذا فساد بين الناس وتفريق لعرى المحبة بينهم، أليس من العجيب أنك تكونين معنا بهذا الشكل بينما تجيدين كتم أتفه الأمور في حياة أهلك، وتغلفينها بالسرية وتحيطينها بالصمت؟ كم من خبر سار لم نعرفه إلا بعد حدوثه، وهذا زواج أخيك أقرب مثال، بل أنت تحزمين حقائبك للسفر ونحن معك ولا نعرف ذلك. فأرجوك يا أختي الغالية أن تفكري في كلامي جيدًا وأن تحسبي للكلمة التي تخرج من فيك ألف حساب، وأن تعاملي الناس بما تحبين أن يعاملوك به(*).

«أخت زوجك»

(*) مجلة «الدعوة».

طلاق مع وقف التنفيذ

لو كان كل رجل مطلق يقوم بمسؤوليته تجاه أبنائه من مطلقته لقضينا على معظم المشاكل الناتجة عن الطلاق، إن هذا الكلام ليس محض فلسفة، بل هو منطلق من الواقع الذي أعايشه فابنتي الكبرى مطلقة ولها من زوجها ثلاثة أبناء بنتان وولد وهم يعيشون معها، أعني أن والدهم لم يحرمها منهم وإن كان لم يحرمهم من حبه وحنانه وأبوته، فهم معها بحكم انخراطهم في المدارس القريبة من بيتنا، ووجود ملابسهم وأدواتهم عندها ولكنهم عند والدهم نهاية كل أسبوع وفي كل أجازة ومع كل فرحة يشاركونه حياته ويقاسمونه لقمة العيش، لا يمر يومان أو ثلاثة دون أن يراهم أو يحدثهم أو يأخذهم معه، لم يجعل انفصاله عن والدتهم سببًا في تمزيق قلوبهم أو كسر نفوسهم، ولم يكن الطلاق ليبعده عنهم فيرفع يديه عن تربيتهم أو يخلي مسئوليته منهم.

لقد أجرى لهم راتبًا شهريًا يزيد حسب أعمارهم وحاجتهم، وفي المواسم والمناسبات يتفقدهم ويلبي لهم طلباتهم، سجل ابنه «عمار» في المدرسة وحضر معه الأسبوع التمهيدي وصار يحضر مجلس الآباء ويتواصل مع معلميه ويسأل عن مستواه وحين علم بضعفه في مادة الرياضيات أخذه مرة أو مرتين في الأسبوع ليشرح له ما صعب فهمه عليه، ثم لما أثقله الارتباط جعل له مدرسًا يأتيه في بيته ليطمئن عليه. وكان يشجعه بالجوائز والمحفزات.

ربما لا أبالغ لو قلت إنه لم يفرح إلا وشاركه أبناؤه فرحته، ولم يدخل في فمه لقمة إلا قاسموه إياها وعلى الرغم من أنه تزوج وأنجب البنين والبنات إلا أنه ظل على عهده مع أبنائه من ابنتي (عمار وأختيه جمانة وسميرة).

إن أراد أخذ أبنائه للبر اتصل بعمار وأخبره ليستعد هو وأختاه حتى يذهبوا معهم. فلا تفوتهم نزهات الربيع الجميلة في بلادنا وهو لا ينساهم من الزيارات المشابهة إما للحدائق أو المتنزهات أو الشاليهات البرية الجميلة.

لم يقل يومًا إنهم عند والدتهم ينعمون بالدفء والحنان ولا يدرون عن إخوانهم شيئًا. فلماذا أتعب نفسي بهم، إنه يأخذهم ليحتفلوا مع إخوانهم بنجاحهم ويأخذهم ليحضروا زفاف ابنة عمتهم ويأخذهم حين تأتي والدته من الريف لزيارته.

وفي العيد يزورون معه أقاربهم وأرحامهم أسوة بأبنائه، فهم ولله الحمد يعرفون أعمامهم وعماتهم واحدًا واحدًا وكذلك يعرفون أبناءهم وبعض أقاربهم، وكأنهم يعيشون معهم، فهم يحضرون المناسبات الكبيرة وحفلات الزفاف التي يُدعى لها والدهم.

لما صام عمار أول رمضان أخذه إلى السوق واشترى له ما يشتهيه الصغار عادة في رمضان حين يصومون العصائر والحلويات ثم قرر أن يأخذه معه مرة في الأسبوع ليصلي التراويح وإن تعذر عليه فعل ذلك، اتصل قبل الموعد بفترة ليعلمه عن إلغائه حتى لا يظل نظر الولد معلقًا بالباب وأذنه بالجرس ينتظر والده.

الحمد لله أن أبناءه يحبونه ويحبون والدتهم أيضًا فهو لم يذكرها أمامهم إلا بالخير حتى إنهم حين يسافرون معه في الصيف يذكرهم بجلب الهدايا لها ولوالدتها التي هي أنا. هل يصدق أحد أنه أحيانًا يمر علينا في ليل أو نهار ومعه كيس صغير فيه بعض حبات الشوكولاته أو كؤوس البوظة يعطيها الأولاد ليتذوقوها لأنه كما يقول اشتراها لأبنائه فرأى علامات الفرح بادية عليهم فأحب أن يشاركه أبناؤه هؤلاء ذلك الفرح.

حقيقة إنه رجل يخاف الله ويؤدي الحقوق ولولا أن الحال بينه وبين ابنتي وصل إلى طريق مسدود لما طلبت الطلاق أبدًا، ولكنه معدنه أصيل وظهرت أصالته حين صقل وطرق إذ أبدت الأيام ما كان خافيًا من دماثة خلقه وكريم طبعه.

إنه لا يغيب عن أبنائه أبدًا فهو يسأل عن حالهم، ويتفقدهم حال مرضهم ويأخذهم إلى الطبيب إذا لزم الأمر، وإن غاب عنهم لفترة لأي سبب، أخذهم في سيارته وتجول بهم وحدثهم وتسامر معهم، واشترى لهم ما يفرحهم ثم أعادهم إلى البيت ليعوِّضهم عن غيابه. لقد بات الأولاد ينتظرون مجيئه ويسألون عنه وعن إخوانهم، ويشتاقون لرؤيتهم وللمناسبات التي تجمعهم.

ترى لو كان كل رجل مثل أبي عمار مع أبنائه بعد طلاق والدتهم هل سنسمع مثل تلك القصص المؤلمة عن ضياع الأبناء وانحرافهم؟!

جزاه الله عنّا كل خير ورزقه بر أبنائه(*).

«جدة أبنائك»

❁❁❁

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

لعل الله ينظر إلي فيرحمني

تزوجت أختي من رجل يكبرها بسنوات ليست قليلة، كان رجلًا حازمًا، بل قاسيًا ومتسلطًا، كان يمنعها زيارة أهلي كل أسبوع، لم يكن طيبًا معها أبدًا، يناديها باسمها مسبوقًا بنعت قبيح لا يليق بالآدميين، يسب كثيرًا ويشتم دائمًا بسبب وبلا سبب أيضًا، لا يعطيها ما يكفيها ويمنُّ عليها بما أعطاها، سامحه الله كان رجلًا فظًا غليظ القلب، وكانت هي صغيرة وطيبة وأيضًا صابرة، ما كانت لتثير مشكلة عند أدنى خصومة، بل تبتلع غيظها وقهرها وتصمت حتى وقت آخر، قد يأتي وقد لا يأتي، وكانت تتحلى بالحكمة، وتستعين بالصبر والصلاة ليدفع الله عنها بعض شره، نعم لقد كان جبارًا، فقصمه الله فاجتمعت عليه الأمراض واعترته الأسقام.. تآكل في المفاصل، شلل في الأطراف، خرف وهرم نظرًا لكبر سنه، ولم تسلم أختي من أمراض العصر، إذ ضلت طريقها بسبب الضغوط النفسية والهموم والأحزان التي كانت تعيشها فيها، جلطة في القلب سلمها الله منها وسكري لازمها منذ وقت مبكر، وضغط وقرحة في المعدة وطبعًا ما تسببه هذه الأمراض من مضاعفات كثيرة، فأصبحت أختي عجوزًا وهي بعد لم تصل إلى الخمسين ولكنها تملك قلبًا فتيًا وروحًا عالية؛ فلقد شمرت عن سواعد الوفاء والبذل والإخلاص وأفنت بقية حياتها في خدمته والقيام بشؤونه وتلبية حاجته.

فأغلقت على نفسها الباب ولم تعد تخرج إلا نادرًا رغم مرضه وخرفه وهذيانه إلا أنها تقول إن هذا باقي حق عليها وهي لا تريد أن يغادر الحياة وقد غمطته حقه.

هي التي تطعمه بيدها وتسقيه، تغير له ملابسه وتغسله، تقلم أظفاره وتهذب شعراته، لم يستطيعوا إحضار ممرض للعناية به نظرًا لظروفهم المادية فقامت هي بالمهمة على أكمل وجه، فهي تعطيه الدواء في وقته أحيانًا يرفض ويرميه بعيدًا فتعاود الكرة

مرات ومرات حتى تفلح، وأحيانًا يرفض الأكل، كالطفل الصغير فتحلم عليه وتستدرجه بلطف حتى يأكل، وإذا تضايق من مكانه بكى وسب وشتم فتقوم بمعاونة الخادم بإركابه في كرسيه المتحرك ثم تدفعه للخارج تسير قليلًا ليغير الجو ويرى النور ثم تعيده إلى مكانه لا تتذمر ولا تتأفف.

ما عدنا نراها إلا قليلًا، نخجل من زيارتها في المنزل لأنها دائمًا مشغولة به ولا تفرغ إلاإذا نام فتنام هي أيضًا لتريح جسدها وأعصابها من هذا الهم المزمن فهي أيضًا مريضة وتحتاج إلى عناية ولكنها هضمت حق نفسها عليها أمام حقه هو، ونسيت راحتها في سبيل راحته.. وسخرت كل وقتها وجهدها لأجله، حين رأيتها رأيت في وجهها علامات الإرهاق الشديد.. شحوب في الوجه وابيضاض في الشفتين واسوداد حول العينين سألتها بالله ألا أراحت نفسها فقالت: إن الراحة في الجنة، الدنيا كلها كبد وكد، قلت: والله لا يستأهل لو كان يدرك الآن لعض يديه ندمًا على معاملته لك.. غضبت مني وقالت: مهما يكن فهو أبو أبنائي عشت معه عمرًا طويلًا والعشرة لا تهون إلا على اللئيم، والحمد لله ما رأيت منه شيئًا قبيحًا... هذا ما يحدث بين كل الأزواج. ثم إني أخذته كبيرًا، والكبير يصعب تغييره أو ترويضه، فقبلته بكل ما فيه فلماذا الآن أتخلى عنه لعل الله ينظر إليَّ فيرحمني.

هنيئًا لها هذا المنطق، وهنيئًا لها العاقبة الحميدة بإذن الله، فمن يستطيع أن يعمل عملها ويصبر صبرها فلقد داس زهرة شبابها بغلظته وها هي تفني عمرها في خدمته، صدقت لعل الله ينظر إليها في تلك الحال فيرحمها.. اللهم آمين(*).

«أختك»

(*) مجلة «الدعوة».

منْ يزرع العقوق؟!!

تزوجت أختي (ميسون) وكنت أظنها لا تستطيع لما رأيته فيها من عدم تحمل المسئولية، ورزقها الله بنتًا جميلة وكنت أظنها ستؤخر الإنجاب إلى وقت لاحق، فهي تود الاستمتاع بحياتها أولًا، دون صخب الأولاد، لكنها جلبت خادمة تساعدها في علم البيت وفي تربية ابنتها أيضًا.

إنها تحب ابنتها كثيرًا هذا لا شك فيه أبدًا، ولكنها تحبها نظيفة، هادئة، أما إن بكت فهي لا تحتمل بكاءها ولو لدقيقة واحدة (سوماري.. تعالي خذيها)، وترميها على الخادمة، وكأنها هي أمها الحقيقية. لا تحاول أبدًا معرفة سبب بكائها، هل هي جائعة أم ظمأى؟ هل يضايقها الحفَّاظ؟ أم تود النوم؟ هل ترغب في المناغاة واللعب، أم أنها مشتاقة إلى حضن أمها؟ كل هذه الأسئلة لا تلقي لها بالًا، فالخادمة كفيلة بإسكات الطفلة وهذا يكفي!!

كم أود أن تروا معي ابنة أختي كيف تهتم بلباسها، فهذا الفستان الأحمر القاني منقط بالأبيض ترتدي معه قبعة بيضاء بشرائط حمراء لامعة وحذاء أحمر وجوارب بيضاء برباط أحمر، فتبدو الصغيرة كوردة حورية حمراء تود استنشاقها والتمتع بعطرها الفواح، تدخل وهي تحمل حقيبتها والصغيرة مع الخادمة تسلم ثم تأخذ ابنتها من الخادمة وتجلس معنا، وما أن تحملها للسلام عليها حتى تبكي مثل كل الأطفال فتبادر مسرعة لنداء الخادمة حتى تأتي لتأخذها!! لمن لبست هذا الفستان الجميل؟! ومن سيراها وهي هناك مع الخادمة في المطبخ بين حرارة الفرن وروائح العرق المنبعث من أجساد الخادمات الأخريات؟!

ماذا تفهمين من معاني الأمومة النبيلة؟ هل ترين أنها للزينة فقط والمباهاة؟ أن أكون أُمًّا يعني أن أمتلك مولودًا جميلًا أضفي عليه كل يوم لباسًا جميلًا وأعتني بشعره

وشكله ليبدو مسرًا للناظرين ولأفخر به أمام الآخرين، هل هذا ما تفهمين من الأمومة؟

إن كونك أمًا يعني أنك شرفت بحمل رسالة عظيمة هي تربية بذرة صغيرة وتعهدها بالرعاية والعناية حتى تنمو نبتة قوية على ساقها تنفع مجتمعها ودينها.

قولي لي بالله عليك، ماذا ترجين من نبتة وضعت في غير مكانها الصحيح وتعهدها السفيه أو الجاهل أو الغريب السقيا فصار يسقيها (ماء) أو (ماء نار) أو (كيروسين) لا فرق فاللون واحد، هل ستنمو؟! هل ستثمر؟! إن نمت فستصبح هزيلة ضعيفة تعافها حتى البهائم وإلا فإن الموت مصيرها المحتوم!!

ابنتك دائمًا مع الخادمة تطعمها وتسقيها وتبدل لها ملابسها – التي نالت اهتمامك أكثر من ابنتك ثم هي تلاعبها وتحاكيها بلهجتها أو بلهجة عربية مكسرة وتحملها وتطوف بها أرجاء البيت فتنام على ذراعيها أو في حضنها فتفرش لها فراشًا في الأرض وتنام بجانبها.. ترى أيكما الأم؟!

كم أدهش لك حين يسأل أحد عن ابنتك، فإن كانت في هيئة جميلة أحضرتها ليروها قليلًا ثم أعدتها للخادمة، وإن لم تكوني مستعدة أو أن الصغيرة وسخت ملابسها اعتذرت بأنها نائمة، ثم تبقين في المجلس تثرثرين وتستمعين للأخبار وتضحكين بكل أريحية، المهم ألا تكون الصغيرة معك تتلف تسريحتك أو تُذهب رونق ماكياجك أو تقطع عليك الحديث الممتع؟ إن حمل الأطفال في المناسبات صار عادة قديمة، بل هو منافٍ للباقة والوجاهة في نظرك طبعًا.

حين وجهت لها نصيحتي قالت: قبل أن تفهم الكلام والصح والخطأ، لن آخذها معي، لقد جهلت أن ابنتها في ذلك الوقت لن تريدها، فهي اعتادت على الخادمة وعلى وجهها الأسمر الصغير، إنها مع الأسف أمها المستعارة.

obeikandl.com

أما أنت فحين تبحثين عن ابنتك وتطالبين بحقوقك فيها فلن تجدي سوى العقوق، ذلك أنك عققتها صغيرة فعقتك كبيرة، وعندها لن تجدي كل هذا الاهتمام بالمظاهر الجوفاء فلن يعنيها أبدًا أنها كانت أكثر البنات تميزًا وأناقة، فإن الزبد يذهب جفاء.. فافهمي هذا وتداركي أمرك(*).

«أخنك»

❁❁❁

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

عشق خيوط «العنكبوتية»

ما هو الإدمان؟ هو أن تدمن عادة ولا تستطيع الفكاك عنها، فتستحوذ على تفكيرك وحواسك وتسيطر عليك فلا ترى غيرها ولا تعلم سواها. وتنسى ما عداها، فتفرط في مسئوليتك وتقصر في عملك دون أن تأبه لذلك أو تحس به، بل لا تجادل في أنها مقدمة على كل شيء وأنها تعني لك كل شيء.

إن هذا هو حال زوجي مع هذا القادم الجديد (الإنترنت) إذن زوجي مدمن؟ ولكن هل يحتاج إدمانه إلى علاج؟ وأين؟

إنني لا أكاد أجده طول اليوم إلا متسمرًا أمام شاشة الجهاز يداه تعبثان بالفأرة يضغط ويضغط، يتصفح المواقع ويخترق الحواجز ويغوص حتى قمة رأسه وكأنه يعيش عالمًا آخر، فهو معنا بجسمه ولكن روحه وعقله ليسا معنا، حديثه عن الإنترنت وتفكيره فيه، يجلس على الغداء ويفتتح حديثه عنه، عن المواقع التي زارها، عن الروابط الكثيرة التي تعرف عليها، عن أشياء جديدة اكتشفها فيه.. وحين أهمُّ بالحديث عن أمر مهم أو حاجة ملحة يقول وهو يومئ بيده «أَجِّليه إلى حين».

في السابق كان يذهب إلى المقاهي ليكتشف الإنترنت، يمكث الساعات تلو الساعات ولا يعود إلا وقد ثقل رأسه من التصفح والمطالعة والمحادثة فيرمي هذا الثقل على الوسادة ليخف ويرتاح فلا يريد إزعاجًا ولا لعبًا ولا همسًا!!

كان الوضع مملًا والحال لا يطاق، يخرج من البيت بعد العصر مباشرة ويغلق الجوال إيذانًا بعدم الإزعاج أو التحري، شؤوننا معطلة حتى إشعار آخر، تواصلنا مع الآخرين منقطع، حديثنا معه وجلوسنا ملغي، فهو أب وزوج مع وقف التنفيذ!!

قلبت النظر في هذا الوضع، وظننت أنه لو كان هذا الجهاز في بيتنا لما خرج زوجي منه، ولاستطعت التحكم في بعض الأمور كالوقت والمدة، ولربما كسبت بعض الأشياء فأشرت عليه بشراء حاسب آلي في البيت يكون لنا جميعًا نستفيد منه.

فكنا في همٍّ واحد وصرنا في همين!! فهو عندنا في البيت لكنه بعيد كالنجوم لا نستطيع محادثته والجلوس معه فضلًا عن تقصيره في مهامه ومسؤولياته، إذ لم يعد له هم إلا الإنترنت، يعود من العمل ليأخذ قسطًا من الراحة، ثم يخلو مع الإنترنت يجاذبه الحديث ويبثه الهم يضحك لضحكه ويتألم لألمه، فهو يعيش معه بكل أحاسيسه بل إنه يحتسي الشاي معه أعني عنده ويفضل تناول عشائه بصحبته، لقد تخلى عن عشائه المعتاد وصار يكتفي بشرائح الخبز المحشو،فهي أسرع في التناول عند الإنترنت، وحتى حين أتعمد صنع عشاء من الأصناف التي يحبها ليجلس معنا ولو لدقائق فإنه يرفض المجيء ويطلب عشاء خفيفًا وإن ألححنا عليه اكتفى بلقيمات قليلة وهو واقف ثم عاد إلى جهازه، لقد صار أمره عنده كبيرًا!!

لقد أدمن زوجي الجلوس أمام هذه الشبكة العنكبوتية حتى طوته بين خيوطها وتمكنت من ابتلاعه، ففرط في صلاته، فتارة يؤخرها وأخرى لا يدرك منها إلا الركعة الأخيرة وكثيرًا ما يحتج بأنه لم يسمع الأذان أصلًا! وكيف يسمعه وكله آذان صاغية وعيون مفتوحة في غرف المحادثة والحوار؟!

أي شيء أنت يا هذا الجهاز؟ وأي سحر فيك؟ حتى صار زوجي لا يفارقك وإن فارقك لطارئ ظل يفكر فيك ويتحدث عنك؟ من أنت؟ ما شكلك؟ وما هي هيئتك؟ لو أستطيع الوصول إليك لدمرتك؟ لقد دمرت حياتي وخربت بيتي وسرقت زوجي، أعمالي معطلة، ولا أجد من يقضي لي حاجاتي، وزياراتي كلها مؤجلة إلى أجل غير مسمى؟

أجلس معه في الغرفة أحادثه في أمر ما وكأنه يسمعني ثم لا ألبث أن أكتشف أنه في واد وأنا في واد آخر، فأخرج غاضبة ناقمة وكأنني لم أدخل ولم أخرج فهو فعلًا مسحور، مشدوه، لا يدري بما يجري حوله.

تُرى هل سيظل الوضع هكذا، متى يدرك زوجي أن لكل شيء قدرًا موزونًا، فالإنترنت وسيلة نقدمها للوصول إلى غاية، ليست هواء نتنفسه، ولا ماء نحيا به، لا يمكن الاستغناء عنه أو تقنين استعمالها، أتمنى أن نتعامل دائمًا مع كل شيء بقدر ووسطية، فديننا دين الوسط، ولكن هيهات لا يسمعني أحد وأولهم زوجي القابع أمام الشاشة المفتون فيها(*).

«زوجتك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

obeikandl.com

سارة وكوخ الأحزان..!!

ولدت على شفير المأساة.. وشمَّت الحياة برائحة الحزن والمعاناة.. هي طفلة عاشرها الألم حتى ملّها.. ولاكها القهر حتى مجّها.. كانت تلهو مع الصبيان.. تغني وتغرد، تسرح وتمرح، وهي لا تعلم عن عمق مأساتها شيئًا.. لا تدري عن سر النظرات المشفقة التي تلاحقها..!! أو التنهدات العميقة التي تحيط بها..!!

بعضهم إذا رآها شمت بها.. والبعض الآخر يغمض عينيه وينصرف.. والبعض الثالث يشمئز ويحمد ربه على النعمة والعافية.. والبعض الرابع.. يبكي لحالها.. ولمآلها.. وإني ولعمر الله من البعض الأخير.. كبرت سارة.. وكبر معها الهم والمعاناة.. بكيتُ لحالها والله، وتنهدت ثم استرجعت وحوقلت.. سارة.. كُتب على جبينها ثلاثة أحرف.. ح.. ز.. ن ونُحت على صدرها.. أ.. ل.. م فكرت بأن لا أطلعكم على مأساتها.. كي لا أُلهب قلوبكم، أو أُعكر صفو مزاجكم.. فيكفي ما أصابني حين سمعت قصتها.. فلك الله يا سارة.. فهو الذي ابتلاك.. وهو القادر على كشف ما ألم بك.. لقد أنفق والدها أموالًا طائلة في سبيل علاجها.. ولكن طبيب الجلدية أخبره بأن البثور الحمراء، والممتدة من أنفها إلى منتصف جبينها لن تزول أبدًا.. وأخبره كذلك.. بأن إجراء عملية تجميلية غير ممكن، إذ أن بها مخاطر عديدة، ولا يَأمن عاقبتها.. سلّم الجميع لأمر الله.. وسلمت سارة أيضا، فهي الفتاة العابدة الصالحة.. صبرت على قضاء الله وقدره.. كانت سارة تنظر في المرآة إلى هذه البثور التي حولت بشرتها الصافية إلى لون داكن غريب؛ فتتألم وينكسر خاطرها.

وفي أحد الأيام، عادت كسيرة من المدرسة.. والهم والغم يعلو محياها.. اتجهت إلى غرفة نومها خلسة، ولم تقبِّل جبين والدتها كالعادة.. أحست الأم بشيء غريب حدث

لها.. طرقت الباب واقتربت منها، فسمعتها تبكي، ولها نشيج يكاد يقطع نياط القلوب..!! فزعت الأم، واحتضنتها، واستخبرتها عن سر بكائها..؟! فقالت: زميلتي أمل.. ثم انخرطت في البكاء مرة ثانية، إلا أنها استجمعت قواها وقالت.. إن زميلتي أمل قد جعلتني أضحوكة بين الطالبات اليوم.. لقد استهزأت بي.. وبالبثور التي تعلو هامتي.. لقد ضحكت جميع الطالبات علي، حتى الحيطان والنوافذ، بل والدفاتر والأوراق.. ثم كفكفت دمعاتها وقالت: أماه.. إني أحس بأن ذرات الهواء تعيبني، وتضحك علي.. وأظن بأن الشمس تهرب من ملاقاتي عند المغيب.. بل وأشعر بأن ظلي الذي يلازمني، والذي أعتبره أعز أصدقائي، أشعر بأنه يشمت بشكلي ومنظري.. أماه.. لقد سئمت هذه الحياة.. لكم تمنيت أني مت قبل هذا، وكنت نسيًا منسيًا.. ولم يقطع حديثها إلا دخول أختها حياة، والتي كانت تسترق السمع إليها.. فحاولت تهدئتها وتذكيرها بالله.. إلا أن ضعف النساء وقلة حيلتهن كان له النصيب الأعظم.. انخرط الجميع في البكاء، وكأنهن في مأتم.. في مشهد يستدر الدمع.. وتوالت الأيام والأيام.. وأصبحت سارة فتاة يافعة، تدبر أمر البيت، وتوجه إخوتها، وتصلح بيتها.

لقد أصبحت في سن الزواج، فيا ترى من سيتزوجها، ومن سيرضى بها؟ ولكن الأرزاق بيد الله.. وبالفعل..!! طرق بابهم شاب جميل.. ووسيم،كان ذا خلق ودين.. ولما علمت سارة بقدومه خاطبًا، اعتلى وجهها البئيس حمرة خجلى، وانكسار وحياء.. لبست أحلى ملابسها.. وتزينت وتجملت.. ويا ليتها لم تفعل..!! فالخاطب لم يكن يطلبها، بل كان يقصد أختها الصغيرة.. حياة.. عندما أخبروها بذلك، حاولت أن تتصابر، أو أن تتظاهر بالتجلد، ولكن الموقف كان أشد من ذلك كله.. يالله.. ما أقسى هذه الحياة.. ما أشد أساها، وما أكبر فتنتها وبلاءها.. هذه الحياة.. لا ترحم مسكينة أو أرملة، ولا تعطف على بائسة أو قانطة.. هذه الحياة.. دار حزن وألم وحسرة.. فلك الله

يا سارة.. فكم من مرة نظرتِ في المرآة فبكيتِ، وكم مرة سمعت لمزًا وغمزًا فانكسرت.. سارة.. ترى الفتيات من حولها فرحات، فهذه مخطوبة، وهذه تستعد لحفل زفافها، وتلك أم لطفلين.. أما هي، فحبيسة غرفتها، وأسيرة أنّتها.. هي لا تتمنى الزواج.. ولا تتمنى العيش الرغيد الهني.. إنها تأمل بألا ينظر إليها الناس بشماتة أو بشفقة.. إنها ترجو بأن تحادث الناس بحرية وطلاقة.. ولكن أنَّى لها ذلك، وهذه البثور تعلو محياها.. وتمضي السنون والسنون.. والمعاناة ألِفتْ سارة، وكذا ألفتها سارة.. إذْ أن بينهما عِشرة أربعين سنة.. أربعون سنة، والألم لم يفارق وجنتيها.. فاتها قطار الزوجية، وركب الحياة الهنية.. فيارب.. رحماك رحماك بها رحماك بدمعاتها الحري رحماك بأناتها وتنهداتها... سارة.. انبثق في ظلام حياتها نور خافت؛ فقد أُخبرت أن داءها يمكن أن يُعالج.. هو مجرد خيط أمل رفيع، وذرة رجاء.. فأسألكم أن ترفعوا أكف الضراعة في ظلام الليل البهيم، وفي ثلث الليل الأخير، وفي وقت السحر، وتسألوا الله بأن يرأف بحالها(*).

❁❁❁

(*) موقع «صيد الفوائد».

obeikandl.com